

الرجل ذو السروال الأحمر

حوار عقلاني من الإلحاد واللادينية إلى الإسلام

عبد الرحيم جرين

ترجمة مركز دلائل
DALA'IL CENTRE

الطبعة الثانية
" نسخة منقحة "

الكاتب:

- عبد الرحيم جرين (أنتوني جرين سابقًا)

- داعية بريطاني اعتنق الإسلام عام ١٩٨٨م

- رئيس أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي

المترجم:

- فريق مركز دلائل للترجمة

- فريق متخصص في الترجمة الشرعية والعلمية

- الجمع بين سهولة السياق وتطابقه مع الأصل

- شكر خاص للدكتور كرم إسلام

- البريد الإلكتروني:

Dalailcentre@gmail.com

الرجل ذو السروال الأحمر..!

حوار عقلاني من الإلحاد واللادينية إلى الإسلام

عبد الرحيم جرين

ترجمة:

فريق مركز دلائل للترجمة

مع شكر خاص للدكتور كرم إسلام

 مركز دلائل، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القسم العلمي بمركز دلائل

الرجل ذو السروال الأحمر. / القسم العلمي بمركز دلائل -

الرياض، ١٤٣٧هـ

٨٧ص، ١٤×٢١سم

ردمك: ٩-٥٠-٨١٧١-٦٠٣-٩٧٨

١-اعتناق الإسلام ٢-الدعوة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢١٣ رقم الإيداع ١٤٣٧/٤٤١٨

الطبعة الثانية

١٤٣٧هـ



Dalailcentre@gmail.com

الرياض – المملكة العربية السعودية

ص ب: ٩٩٧٧٤ الرمز البريدي ١١٦٢٥

Dalailcentre@

+٩٦٦٥٣٩١٥٠٣٤٠

طبعت في



تصدير:

لا شك أن الترجمة هي من أوسع أبواب الاستزادة المعرفية والعلمية وتبادل الخبرات بين البلدان والأمم والثقافات والشعوب، ومن هنا كان لسلسلة (الترجمات) لدى مركز دلائل عناية خاصة في انتقاء أفضلها وأكثرها ملاءمةً، مع الوضع في الاعتبار عدم تبني المركز لكل مكتوب أو منقول بالضرورة.

وفي هذا الكتاب سنخوض معاً تجربةً حواريةً فريدةً وخفيفةً بين الكاتب البريطاني (عبد الرحيم جرين) وبين القارئ الكريم، حيث يتناول فيها بالتسلسل العقلي والمنطقي والعلمي البسيط رحلة الوصول إلى إثبات وجود الخالق عز وجل، ثم إثبات صحة الإسلام.

مركز دلائل

***


بسم الله الرحمن الرحيم

المؤلف في سطور...

عبد الرحيم جرين

اسمه: أنتوني فاتساوف جالفين جرين، بريطاني اعتنق الإسلام، ومؤسس أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي، عرفه الوسط الإسلامي من ممارسته الدعوة إلىٰ الإسلام، من خلال ظهوره في التلفاز، والدعوة في الأماكن العامة، مثل: الركن المختص بالخطب في متنزه هايد بارك، إضافة إلىٰ أنه مقدم ومعد برامج علىٰ قناة السلام الناطقة باللغة الإنجليزية، وهو رئيس أكاديمية البحث والمنهج الإسلامي. وقد شارك في بعض المحافل الدولية مثل: مؤتمر السلام في بومباي.

ولد عبدالرحيم جرين في تنزانيا، لأب كان مسؤولاً في مستعمرة تابعة للإمبراطورية البريطانية، ولأم من أصل بولندي. كان يعتنق والده الإلحاد، أما والدته فكانت من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وبعد استقلال مستعمرة دار السلام في تنزانيا عاد والداه إلىٰ المملكة المتحدة وهو في العامين من العمر. شارك عبدالرحيم في حضور الكنائس الكاثوليكية، ثم انتقل في سن الحادية عشرة إلىٰ القاهرة لقبول والده وظيفة هناك، وكان يحضرها في العطل الطويلة. وفي تلك

الأثناء كان عبدالرحيم جرين يطرح أسئلة عن الحياة والإيمان منذ صغره على معلمه الكاثوليكي، ثم دافع عن الإيمان ضد الملحدين، رغم عدم اعتقاده بصحة ما يؤمن به آنذاك. وأخيراً بدأ اهتمام عبدالرحيم جرين بالإسلام كدين من عام ١٩٨٧م، حيث استطاع في ذلك العام الحصول على نسخة من القرآن المترجمة معانيه. ثم اعتنق الإسلام رسميًا في عام ١٩٨٨م، وبدأ مباشرة الدعوة إلى الإسلام وإلى الآن. تزوج جرين من امرأتين بريطانيتين مسلمتين من أصول هندية، ورزق منهما عشرة أطفال.



المحتويات:

المحتوى	الصفحة
	٨٥

❁ ❁ ❁



الرجل ذو السروال الأحمر...

مَن هو الرجل ذو السروال الأحمر؟ ولماذا يلبس الأحمر وليس لوناً آخرَ؟

هل حقّاً حصل على ردائه الأحمر القصير؟ وماذا يريد بأي حال؟

هذه الأسئلة لن يتم التعامل معها في هذا الكتاب! لكن هذا الكتاب سيسألك التفكير في كيف يمكن التعامل مع هذا الرجل؟ سيأخذك في رحلة تواجه فيها بعض الخلاصات والنتائج الصعبة، فإذا كنت تؤمن بالأشياء غير القابلة للتصديق من غير دليل، فضع هذا الكتاب جانباً الآن! وإن كنت تظن أنك مُفكر، ففكر مرة ثانية!

لأن هذا الرجل ذا السروال الأحمر سيتأكد من أن حياتك لن تكون كالسابق أبداً مرة أخرى...

عبد الرحيم جرين...

❁❁❁

الفصل الأول:
الرحلة تبدأ

الفصل الأول
الرحلة تبدأ

أنا متيقن أنك لن تحب هذه البداية، سأتكلم عن جميع الأشياء التي نمضي كثيراً من وقتنا في محاولة تجنبها، كالموت مثلاً! نعم الموت، المحاكمة، الجنة والنار، (أم أن كل هذه خرافات سماوية؟)، كما سأتحدث عن معنى الحياة، وبالطبع السؤال الكبير هل هنالك حقًا إله؟ أم أن كل ذلك عبارة عن وهم؟ تقريباً جميع الأشياء التي تحاول قصارى جهدك في تجنب التفكير بها، لكن ما علاقة هذا بالرجل ذي السروال الأحمر القصير بأي حال؟

أريدك أن تأتي معي في رحلة، هي ليست رحلة طويلة، لكننا في طريقنا سنواجه أشياء مثيرة، وربما مخيفة، وأشياء ربما لن تريد تصديقها حتى ولو كانت منطقية، بعضكم ينسحب من الآن، وبعضكم سيضع هذا الكتاب ولن يكمله، وبعضكم سوف يرفع أنفه في اشمئزاز، وهذا شيء محزن للغاية؛ لأنك سوف تضيع أهم شيء في حياتك على الإطلاق!

بعضكم سيقرأ هذا الكتاب كله، وربما سيتفق معه، ولكنه لن

يغير أي شيء حيال ذلك، وهذا شيء محزن أيضـاً، وسيئ كذلك. لقد أخبرتك من قبل أن هـذا الكتـاب سيحوي أشـياء لـن تعجبـك! ولكـن البعض سيتدبر مـا في هـذا الكتـاب كـاملاً، سيفكر قلـيلاً، أو كثيـراً، ثـم سـيفعل شـيئاً مـذهلا حقـاً في حياتـه، سـيتقبل الاسـتنتاجات العقليـة الحتمية، خذ نفساً عميقاً (علىٰ الأقل ذهنياً)، وقرر أن تتعهـد بـالتزام سيقوم بتحويلك بطرق رائعة إلىٰ الأفـضل، مـع أن هـذا يبـدو مخيفـاً، لكنك عندما تقوم به، فإن الأشياء ستكون منطقية أكثر.

إذن يكفـي مقـدمات، وإلـىٰ صـلب الموضـوع، لنبـدأ الرحلـة، ولنركب عربة العقل والمنطق السليم.

مـاذا سـتفعل إذا كـان رجـلٌ بـسروال أحمـر قـصير يطـرق بابـك، ويقول إنه جاء ليقرأ عداد الغاز ليصدر الفاتورة؟!

أنا أتكلـم بشكل جدي، ماذا ستفعل؟ في الحقيقة ما ستفعله لـيس هو المهم هنا، مقارنة بما هي النظـم التي ستستخدمها لتـصل إلىٰ قـرار يتعلق بما ستفعله في موضوع هذا الرجل وما يزعم. هـل سـتصدقه مـن غير تفكير وتدخله بيتـك؟ فقـط «تكـون مـصدقاً لـه»؟ أم أنـك سـتفكر بـالموقف، وتـسأل بعـض الأسـئلة وتعرضـها علـىٰ المنطـق والعقـل؟ بالتأكيد الخيـار الثـاني، فإنـك حتـىٰ لـو قلـت لـه: «اغـرب مـن هنـا أيهـا المعتوه» فإنك قد استخدمت العقـل والمنطـق لتـصل إلىٰ قـرار يتعلـق بالرجل ذي السروال الأحمر القصير، كما نفعل في أغلب الأشياء التي تحدث في حياتنا.

والآن قبل أن نكمل، أريد منك أن توافقني في شيء واحد، فإن لم توافقني فيه فلا داعي للمضي قدماً، يجب أن نتفق أن العالم الذي نعيش فيه هو عالم حقيقي، وأنا وأنت وكل شيء حولنا موجود حقيقة، ولسنا عبارة عن عالم وهمي أنتجه حاسوب ما، أو أننا في حلم ما، أعلم أني حقيقة لا يمكنني إثبات هذا، وأنه من الممكن حقا أن كل ما نراه من حولنا هو حلم أو وهم، لكن كيف سيساعدنا هذا التفكير في موضوعنا؟ إذا كنا نظن ذلك فليس بإمكاننا أن نعقل أي شيء حولنا، حتىٰ وإن قبلنا هذا... فإننا سنستمر باستخدام العقل للمحاولة وجعل ذلك منطقياً، وسيكون علينا حتماً قبول ما نراه كحقيقة بشكل من الأشكال.

فإذا كنت معي في هذا الأمر، وأن هذا العالم حقيقي، وأن ما نرىٰ ونشم ونسمع ونلمس ونتذوق حقيقة، وأن حواسنا ترسل معلومات إلىٰ عقولنا، وأننا نستخدم عقولنا لنعقل ما يدور حولنا، فلنستخدم هذه العملية إذن لنخضع هذه الحياة والعالم والكون وكل شيء حولنا لهذه الحقيقة.

الآن، هناك أمورٌ نعتبرها «حقائق عامة»، فقط لأن الجميع حولنا مجُمعون علىٰ صحتها، وفي الواقع هذه الأفكار أساسية، بحيث أنها جزء مما يجعلنا بشراً، وإن لم يتفق معها أحد فقد نعتبره مجنوناً. كمثال مبدأ: «الجزء من الشيء هو أقل من مجموعه» هو حقيقة عامة، هو معلوم لكل البشر، ولهذا السبب نطلق عليه منطقاً متعارفاً عليه وهو: بديهة عامة – Common sense – أي: شيء واضح بشكل لا

يحتاج لشرح، هل توافقني إلىٰ الآن؟.. هاك مثالاً آخر: «الشيء لا يأتي من عدم» أو «النظام لا ينتج عفويّاً عن الفوضىٰ».

ما الذي في مجمل التجربة الإنسانية قد يدفعنا لنعتقد أن شيئاً ينتج من اللاشيء أو العدم؟ أو أن النظام ينتج عفويّاً عن الفوضىٰ؟

نعم هذا صحيح، لا شيء. ففي الحقيقة أن كل ما نختبره باستمرار، هو أنه كلما كان هناك ترتيب أو شكل أو أنظمة: فإن لها مُرتب أو مُشكِّل أو مُنظِّم، وأنه كلما زاد التعقيد والترتيب في الأنظمة، وكلما زادت وظيفتها، زاد مستوىٰ الذكاء لتشكيلها.

هناك حقيقتان يمكننا استخدامهما لنعقل العالم والكون والحياة، حيث تخبرنا التجربة الإنسانية العالمية أننا عندما نجد أن شيئا يعمل وفقاً لأنظمة، قوانين وأنماط، فإن هناك شيئاً ما وراءه قد صنع تلك الأنظمة. ولهذا السبب فإن الجيولوجي قد يجد قطعة من الفخار تحت الأرض ويكون متأكداً أن هناك أناساً لم يرهم أبدا قد صنعوا تلك القطعة الفخارية. حتىٰ أنه قد يستطيع إخبارنا عدداً من الأشياء عن هؤلاء الناس: ثقافتهم، المستوىٰ العلمي عندهم، فقط من هذه القطعة الفخارية، وهو علىٰ علم أنها صمّمت ليس كنتيجة لبعض الحركات العشوائية من الأرض والشمس ونار الغابة الطبيعية والتي اجتمعت مع بعضها بطريقة ما لتنتج هذه القطعة من الفخار المحروق. ربما أن هذا يمكن أن يحدث، لكنه مستبعد جدّاً، وفي الواقع: كلما رأىٰ هذا الشخص الكثير من هذه القطع الفخارية قلّت هذه

الاحتمالية، وزاد إيمانه بأن هذه القطعة مُصممة عن قصد، (إن كان عنده شك في بادئ الأمر!).

لنأخذ مثالاً آخرَ لشيء يملكه معظمنا، ونستخدمه في حياتنا اليومية: الهاتف المحمول. هاتفك المحمول مركب من بعض العناصر الأساسية: بلاستيك، زجاج، سيليكون للشريحة، وبعض المعادن الثمينة. فالبلاستيك ينتج من النفط، والغاز والسيليكون من الرمال، أي إنه بشكل أو بآخر ما تحمله بيدك هو نفط ورمال، لكن ماذا إذا قلت لك أني كنت أمشي في صحراء العرب (التي تحوي الكثير من النفط والرمال)، والتقطت هاتفاً محمولا وجدته علىٰ الأرض هناك، وإنه كان نتاج بلايين السنين من الحوادث العشوائية؟ حيث هبت الرياح، وأشرقت الشمس عليه، والأمطار هطلت، وضرب البرق، وتكونت فقاعات الزيت، وخطت الجِمال فوق المزيج لملايين السنين؛ فكوّن هذا الهاتف المحمول نفسه، وبشكل طبيعي التقطته أنا، وضغطت زر المكالمة:«مرحبًا أمي»!

هل هناك فرصة أن هذا قد تشكّل بنفسه عشوائيّاً عبر عمليات طبيعية؟ مهما كان الاحتمال بعيداً فمعظمنا لن يقبل هذا التفسير علىٰ أنه تفسير منطقي.

لماذا إذن نقبل بمثل هذا التفسير في كوننا والحياة ضمنه؟ حتىٰ إن قبلنا عملية التطور، فإن فكرة أن الحياة تطورت من خلال سلسلة من الأحداث العشوائية المجردة، هي فكرة صعبة القبول كتفسير

منطقي. حتىٰ إن أبسط الخلايا البشرية هي أكثر تعقيداً من هاتف محمول! علىٰ الأقل فإن نظرية التطور تحاول إعطاء تفسيرٍ لكيفية حدوث هذا الأمر، لكن فكرة أن الكون هو نتاج بعض الأحداث العشوائية ليس لها تفسيرا قابلا للمقارنة، فالقوانين والنظم التي تشكل الكون هي حقيقة أكثر تعقيداً من تلك التي تحكم الحياة البيولوجية!

فلنأخذ مثال الأرض ونظامنا الشمسي: تدور الأرض حول محورها مرة كل أربع وعشرين ساعة، تخيل لو أن الأرض كانت تدور بشكل أبطأ، سيكون النهار أو الليل لنقل: ثلاثين أو أربعين سنة بدلاً من أربع وعشرين ساعة، جزء من سطح الأرض سيكون معرضاً لضوء لشمس طوال ذلك الوقت، والجزء الآخر في الظلام، لذا سيكون سطح الأرض معرضاً للحرارة الشديدة والبرودة الشديدة. أو لو كنا بشكل جزئي (بالمصطلح الكوني) أقرب إلىٰ الشمس أو أبعد عنها، لكانت الأرض إما أسخن جدا أو أبرد جدا. ولو أن تركيب الغازات في الغلاف الجوي لم يكن ذلك الخليط الدقيق من الأوكسجين والنيتروجين وثنائي أوكسيد الكربون، أو إن لم يكن هناك طبقة الأوزون لتنقية الآثار الضارة لشعاع الشمس؛ فمن الصعب أن نرىٰ كيف يمكن للحياة أن توجد بدون هذه الشروط المثلىٰ..

عندما نستعرض نظرية الانفجار الكبير التي تشرح نشأة الكون، قد يسأل سائل: «منذ متىٰ تشكل الانفجارات أنظمة دقيقة متوازنة، وأشكال حياة معقدة؟» إلا أن هذا ما يفترض بعض الناس أنه حدث

للكون والانفجار الكبير! قد يرد أحدهم أن هذا هو طرح مبسط جداً ليكون تفسيراً لهذا الكون المعقد، لكن العلم يعتقد أن القوانين التي تنظم الكون منضبطة بشكل لا يسمح للحياة أن توجد من غير هذه الدرجة من الضبط الدقيق.

يمكن أن يلاحظ ذلك فيما يسمىٰ بالثوابت الطبيعية، التي يوجد العديد منها، لكن فلنركز علىٰ أربعة من أكثر القوىٰ المعروفة: القوة النووية القوية، والقوة النووية الضعيفة، القوة الكهرومغناطيسية، والجاذبية. اثنتان منها وهما القوة الكهرومغناطيسية القوية والضعيفة، مسؤولتان عن إنتاج الكربون، العنصر الذي تبنىٰ عليه كل أشكال الحياة التي نعرفها، فالقوىٰ تتعاون بشكل ما، لخلق توازن لمستويات الطاقة، مما يسمح بإنتاج الكربون عن طريق دمج ثلاث ذرات هيليوم. إنه من غير المرجح اصطدام ثلاث ذرات هيليوم في ظل الظروف العادية فالطاقات لن تتوازن، وذرات الهيليوم الثلاث سوف تتباعد قبل أن يكون هناك وقت كافٍ لتتحد مُشكلةً الكربون، لكن إن كان هناك توازنا غير عادي إحصائيا للطاقات، ستكون العملية أسرع. إن أدنىٰ تغيير في القوتين الكهرومغناطيسية القوية أو الضعيفة سيغير مستويات الطاقة، مما يؤدي إلىٰ الانخفاض الشديد في إنتاج الكربون، وبالتالي كون غير صالح للسكن في نهاية الأمر.

ولو أخذنا بالاعتبار قوة الجاذبية، بعد الانفجار الكبير قبل بلايين السنين، كانت المادة موزعة عشوائيا في الكون، لم يكن هناك كواكب

ولا مجرات ولا نجوم، فقط ذرات تطوف في الفراغ المظلم من الفضاء، وعندما بدأ الكون بالتوسع جذبت الجاذبية الذرات بلطف؛ لتشكل منها المجموعات التي كوّنت النجوم والمجرات في نهاية الأمر. المهم أن قوة الجاذبية كان عليها أن تكون بمقدار صحيح، فلو كانت أضعف لكانت الذرات موزعة بشكل أوسع لا يسمح أبدا بتكون المجرات والنجوم والكواكب، ولو أنها كانت أقوىٰ لكانت الذرات ستجتمع مع بعضها مكونة كتلة واحدة كبيرة؛ ليتحول الانفجار الكبير إلىٰ الانسحاق الكبير، فقد كان علىٰ الجاذبية أن تكون علىٰ ضبط دقيق لتتشكل النجوم، فما هو هذا الضبط الدقيق؟ تصوّر أن وزنك كان أكثر أو أقل بجزء من البليون من الغرام، هذا هو الشكل من التغيير في الكون الذي نتحدث عنه، والذي كان كافياً ألا يسمح بتشكيل المجرات والكواكب والنجوم والحياة. علىٰ الرغم من أن خسارة بضعة كيلوغرامات من وزنك يبدو أمرا سهلا! أليس كذلك؟ إلا أنه من الغريب كيف أن بعض البشر الأذكياء المتعلمين لا يستطيعون أن يخسروا بعض الوزن ليحسنوا صحتهم، ولكن الكون العشوائي غير المتعلم قادر أن ينظم نفسه بظروف مثالية للعيش فقط عبر المصادفة!.

ليس هذا فحسب، فلنلق نظرة فاحصة علىٰ معدل توسع الكون بعد الانفجار الكبير، فلو كان معدل التوسع أكبر، وقد اتسع بشكل أسرع، لأصبحت المادة في الكون منتشرة جدا بحيث لن تستطيع

الجاذبية أبدا أن تجمعها لتكون المجرات والكواكب، ولو كان معدل التوسع أبطأ لتغلبت الجاذبية لتجمع المادة في ثقب أسود، ولو أن معدل التوسع بعد الانفجار بثانية واحدة كان أبطأ بجزء واحد من مئة ألف مليون مليون، لانهار الكون علىٰ نفسه قبل أن يصل إلىٰ حجمه الحالي. في الواقع إن معدل التوسع كان وفق ضبط دقيق؛ ليسمح بوجود النجوم في الكون.

مثال آخر علىٰ هذا الضبط الدقيق هو كثافة المادة في الكون؛ فلأجل أن ينمو بطريقة تحافظ علىٰ الحياة، كان علىٰ الكون أن يحافظ علىٰ دقة عالية من الكثافة العامة، دقة هذه الكثافة كانت عالية، بشكل لو أن تغييراً بجزء من ١٠^١٥ أي (٠.٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١٪) كان كافياً لينتج انهيارا مبكراً جدا لا يسمح للحياة بالتشكل، أو كان لينتج عنه توسع سريع لا يسمح بتشكيل المجرات ولا النجوم ولا الحياة.

هل تذكر الهاتف المحمول الذي وجدناه في الصحراء؟

أليس منطقيا أكثر استنتاج أن الكون والحياة نتيجة تصميم ذكي مقصود؟

ما هي الخيارات المتاحة أصلاً؟

هل يمكن حقا أن الكون قد يأتي من لا شيء؟ وإن كان هذا هو الحال، فلماذا لا نطبق المنطق نفسه علىٰ كل شيء آخر في الحياة؟ ولربما أن الرجل ذو السروال الأحمر القصير قد ظهر بشكل عفوي صدفة!

هل كان قادراً علىٰ صنع نفسه؟ فنحن لا نعزو لمجموعة النجوم والمجرات والتي نسميها الكون القدرة علىٰ التصميم والتنظيم، لأن ذلك بالتأكيد يحتاج إلىٰ الذكاء والإرادة.

فإن كان المنطق السليم والعقل يشيران قطعا إلىٰ وجود تصميم ذكي مسبوق بإرادة، فما هي الاستنتاجات الأخرىٰ التي يمكن أن نصل إليها عبر هذا المنطق؟

أحد هذه الاستنتاجات التي يمكن أن نصل إليها، أن طبيعة مصدر هذا الذكاء والإرادة يجب أن تختلف عن طبيعة الكون الذي صنعه.

لماذا؟ لأنهما إن كانا متشابهين، فكل ما سنحصل عليه هو المزيد من التشابه، أي المزيد من المصنوع، وعندها يمكن لسائل أن يسأل: ما الذي صنع هذا الصانع؟ طبعاً هو شيء أكثر قوة وإرادة وذكاء، ثم بالطبع سنسأل السؤال نفسه عن الصانع: ما الذي صنع ذاك، وسنبقىٰ علىٰ هذا الحال إلىٰ الأبد، نبحث عن الإرادة والذكاء الكائنين وراء ذينك الإرادة والذكاء، صانع يصنع صانعاً يصنع صانعاً إلىٰ ما لانهاية! وهناك سبب وجيه يوضح لم لا يمكن للأمور أن تكون بهذه الطريقة، سنشرحه في المثال التالي.

تصور لو أن قناصاً حدد هدفه وراسل مركز القيادة ليحصل علىٰ إذن بإطلاق النار، لكن مركز القيادة أخبر القناص أن ينتظر ليحصلوا علىٰ الإذن من مركز أعلىٰ، والمركز الأعلىٰ يحصل علىٰ الموافقة من

الذي يعلوه وهلم جرا...

إذا بقي الأمر علىٰ هذا المنوال فهل سيطلق القناص النار علىٰ الهدف؟

بالطبع لا!

سيبقىٰ ينتظر طالما من فوقه ينتظر أن يأتيه الأمر ممن هو أعلىٰ منه، وهكذا يجب أن يكون هناك مكان أو شخص تصدر منه الأوامر، مكان لا يوجد من هو أعلىٰ منه.

إذن فمثالنا يوضح لماذا كان هناك خطأ منطقيا في فكرة أن هناك من خلق الخالق، إلىٰ ما لانهاية. لا نستطيع أن نحصل علىٰ خالقين يخلقون الخالقين إلىٰ ما لانهاية، وإلا فكما أن القناص لن يطلق النار أبدا، فإن الخلق لن يُخلق أبدا، ولكن الخلق هنا، إنه موجود، لذا فإنه بإمكاننا استبعاد فكرة انحسار الأسباب اللانهائي علىٰ أنها طرح غير منطقي.

فما هو البديل إذن؟

البديل هو سبب أول، سبب لا مسبب له!

نستطيع أن نستنتج أن طبيعة القوة الذكية ذات الإرادة ما وراء الكون، والحياة وكل شيء، يجب أن يكون لها طبيعة مختلفة عن الخلق، وكما رأينا: هناك أسباب تضطرنا إلىٰ هذا الاعتقاد.

فإذا كان المصنوع بطبيعته ذا حاجة، فإن الصانع يجب أن يكون غير محتاج إلىٰ أحد.

وإذا كان المصنوع مؤقتاً، فالصانع يجب أن يكون أبدياً.

وإذا كان المصنوع محدوداً بالزمان والمكان، فالصانع يجب أن يكون غير محدود بالزمان والمكان.

وإذا كان المصنوع اعتياديّاً، فالصانع يجب أن يكون فريداً.

ويتبع هذا منطقيّاً أنه يمكن لصانع واحد أن يكون فريداً أبدياً، غير ذي حاجة، غير محصور بزمان أو مكان؛ لأنه إن كان هنالك أكثر من واحد فإن هذه الصفات لا يمكن أن تنطبق، كيف يكون هناك كائنان أبديان أو ثلاثة، أو كائنان غير محدودين بالزمان والمكان؟

ولهذا فإنه من المنطق السليم الاعتقاد بخالق واحد أبدي صمد.

العقل والمنطق السليم يقودان بشكل سهل أو حتمي إلىٰ نتيجة أن الكون مخلوق بخالق منزه عن الكون، لا يشبه أي شيء.

ولهذا يصعب أن نفهم أي شيء عن هذا الخالق بواسطة العقل، ولهذا يتوقف البعض من الناس عند هذا الحد.

ولكن رحلتنا لا تنتهي هنا، بل هنا تبدأ، وما زال لدينا الكثير من الأسئلة العالقة بلا جواب، والكثير من المشكلات غير المحلولة.

* * *

الفصل الثاني:
أسئلة بلا جواب

الفصل الثاني
أسئلة بلا جواب

لماذا يوجد معاناة في هذا العالم؟

إذا كان الخالق موجوداً فكيف يسمح للأمور السيئة أن تحصل؟

ما هو الهدف من الحياة؟

لماذا نحن هنا، وما هو السبب وراء وجودنا، وإلىٰ أين نحن ذاهبون؟

هل هناك حياة بعد الموت؟

هل هناك طريقة لنعرف أكثر عن الخالق؟

ليس أمراً غريباً أو غير اعتيادي أن يتوقع المرء أن الذي خلق هذا الكون سيعطي نوعاً من الهداية في مثل هذه الأمور، بما أن الخالق قد أوجد أموراً تلبي كل احتياجاتنا، الجسدية والعاطفية. نحن نشعر بالجوع ونحتاج الغذاء لنستمر، وكل الوسائل لتلبية هذه الحاجة متوافرة، نعطش والشراب موجود، نحتاج الملابس والوسائل موجودة لحماية أنفسنا من البرد والحر، نحن أيضاً بحاجة إلىٰ الصحبة، الحب والدعم، لدينا عائلات وأهل ونعيش في مجتمعات

تلبي هذه الحاجات. فمن المنطقي أن الذي وفر لنا كل هذه الحاجات سيوفر أيضاً أجوبة لهذه المسائل العميقة والملحّة والمهمة.

في الحقيقة، بطريقة أو بأخرىٰ، بعض هذه الأسئلة العميقة، هي أهم من الحاجات المادية والعاطفية؛ لأنها تحدد سبب وجودنا. يشير الدليل العلمي إلىٰ أن الناس عندما يفقدون الهدف الواضح والمقنع في الحياة كأفراد أو مجتمعات، فإنهم يفقدون الإحساس بالرضا، ويشعرون بالحيرة وعدم السعادة. لذا فإن الحاجة إلىٰ معرفة سبب وجودنا وإلىٰ أين نحن ذاهبون هي مهمة كأهمية الطعام والشراب والحميمية!

قد يكون هنالك العديد من الإجابات الممكنة لهذه الأسئلة، وبالنظر إلىٰ مختلف الأفكار التي نتجت عن العقل البشري، نرىٰ أن العقل ليس أفضل ما يمكن استخدامه للوصول إلىٰ أجوبة هذه الأسئلة المربكة؛ لأن ما نريد ليس أية أجوبة، بل الصحيحة منها. المشكلة هنا هي حقيقةً أن العقلَ لا يفلح في هذا المجال.

كمثال: لنفترض أن شخصاً أخذك إلىٰ مبنىٰ غريب، وأنت تقف أمام بابه المغلق، وسألك هذا الشخص: «ما الذي يوجد خلف ذلك الباب في هذا المبنىٰ؟» ما الذي ستستطيع أن تعرفه باستخدام العقل؟ قد تستطيع أن تحزر بعض الأشياء، كأن يكون هناك طاولات وكراسي وأضواء ومغاسل، لكن يمكن أيضاً أن تكون مخطئاً، يمكن أن يكون فارغاً تماماً، ويمكن أن يكون ممتلئاً تماما، أو أي شيء، إذن كيف

تعرف؟ وكيف يمكن أن تصل إلىٰ اليقين عما يوجد خلف الباب؟ طبعًا تستطيع الدخول والرؤية بنفسك بأم عينيك، ولكن ماذا إن كان هذا غير ممكن؟ كيف إذن ستعرف ما يوجد في الداخل.

حسنا، هناك طريقة، هي أن يخبرك شخص كان في الداخل، أو حتىٰ شخص يعرف أحداً قد دخل يخبرك، لكن السؤال هنا هو: كيف أستطيع أن أثق بهذا الشخص؟ كيف أثق أنه يقول الحقيقة؟

الحالة نفسها مع الأسئلة الكبيرة، الهدف من الحياة، سبب وجود المعاناة، هل هناك حياة بعد الموت؟ ماذا يوجد خلف الباب؟ إنه مخفي، غير مرئي، وغير معلوم. لا يستطيع العقل تقديم أي جواب نهائي، ولا يوجد أي سبب لتصديق أن الحدس أو مجرد الشعور قد يؤدي إلىٰ أجوبة أفضل.

يمكننا الحصول علىٰ درجة من اليقين فقط عندما يقوم شخص ما لدينا سبب وجيه للثقة به بإخبارنا.

بالطبع ما زلنا نحتاج العقل، ولكن ليس كمصدر مباشر للمعلومات حول هذه المسائل، لكن نحتاج العقل لنحدد بمن نستطيع أن نثق.

نعود للرجل ذي السروال الأحمر القصير، لماذا عليّ أن أصدّق أو أكذّب ما يزعم هذا الرجل؟

الديانات في العموم، لها زعم خاص، زعم أنها تحمل رسالة من الخالق، وغالبًا يفترض بهذه الرسالة أن تكون خاصة بتلك الديانة،

فالقضية هي: «أنا علىٰ حق وكل الآخرين علىٰ خطأ»، وليست المشكلة في هذا الزعم بحد ذاته في نظر العقل، ففي النهاية: لو أن هذا الخالق الحكيم قرر أن يرسل لنا رسالة، فمن المنطقي أن تكون ثابتة غير متفاوتة، وبما أن الديانات المختلفة لها مزاعم متناقضة، فلا يمكن أن يكونوا جميعـًا علىٰ حق! لكن التحدي هنا هو تحديد أي هذه الديانات إن كان أحدها علىٰ حق. فبدلا من شخص واحد يدعي أنه قد جاء لقراءة عداد الغاز، هناك سبعة!!

لم يضِع كل شيء الآن، فبالنظر إلىٰ كل هؤلاء الناس مجتمعين أمام بابك، وباستخدام نفس العملية العقلية المنطقية، هناك بعض الأشياء التي يمكنك استخدامها بسهولة لاختيار من منهم حقا هو المفوّض لقراءة عداد الغاز، فمثلا: هو أو هي قد يكون معه شيئا لتحديد الهوية وزيـًا موحدا يحمل اسم شركة الغاز التي تتعامل معها، وربما جهازا لقراءة عداد الغاز. وبالطريقة نفسها هناك بعض العلامات التي نستطيع استخدامها لتمييز الدين الحق من الدين الباطل.

ولأن هذا الموضوع عاطفي، فإنه ليس من مضيعة الوقت أن نتفكر في بعض الطرق المغلوطة المستخدمة في تحديد هذا الأمر. كأن نقول: أيهم يشبهني أو هو من عِرقي؟ هل ستستخدم هذا المنطلق لتقرر من سيدخل المنزل ويقرأ عداد الغاز؟ فالمجرمون يأتون من كافة الأعراق والألوان، كما هو الحال مع جباة فواتير الغاز.

هل نقول مثلاً: «دعني أحدد حسب شعوري من هو الحقيقي،

ثم سأؤمن أنه هو»، لا أعتقد هذا! حسنا، ماذا عن الشخص الذي يعرض عرضا جيدا حقا كأن يقول: «إذا آمنت بي كقارئ لعداد الغاز، فسأعطيك غازاً مجانيّا للأبد». العرض مغرٍ، لكن طبعاً لا!

أو ربما تختار الشخص الذي يشبه من كان يدق الباب علىٰ أهلك في بعض الأحيان، (حتىٰ وإن لم يكن لديهم غاز أصلا).

ماذا عمن يبدو عليه أنه الأذكىٰ، ويملك أكثر قدر من النقود، لا أظن ذلك.

النقطة التي نريد الوصول إليها هنا: أنه عندما يتعلق الأمر بالدين، فعليك أن تستبعد أفكاراً معينة، كمثال: أن تتبع ببساطة الديانة التي كان تبعها أسلافك أيا ما كانت فقط لأنها تبدو معروفة، أو لأنك تحبهم كثيراً ولا تتصور أنهم قد يكونوا مخطئين! أنا واثق أنكم جميعاً تفعلون بعض الأشياء إن لم تكن أشياء عديدة تخالف ما كان يفعله أهلكم، فكيف إذن يمكن أن يخطئوا في هذه الأشياء ولا يخطئون في الدين؟

ليس هناك ببساطة سبب مقنع لافتراض أن أيا ما كان الدين الذي آمن به أهلك وأسلافك هو الحق، وليس هناك أيضا أي سبب منطقي أن تؤمن وتأخذ هذه القفزة الإيمانية دون مبرر معقول. وأي نوع من المنطق من شأنه أن يؤدي إلىٰ الاستنتاج أنه ينبغي علىٰ الدين الحق أن يجعلك غنياً، أو أنك بمجرد إيمانك بشخص ما أو شيء ستحصل علىٰ الحياة الأبدية؟ وبالطبع أحد الأسباب المفضلة لتبرير اختيار ديانة ما، أن شخصاً ما اختار اتباع هذه الديانة وأحس بالسعادة بعد

ذلك وتغيرت حياته! هذا قد يكون منطقيّاً بعض الشيء؛ طالما أن هناك أسباباً جيدة تدعو للإيمان أن هذا ما على الدين الحقيقي أن يفعل، لكن المشكلة هنا أن العديد من الآخرين يدلون بهذا الزعم عن ديانات أخرى، مما يدل على أن الإنسان خُلق بشكل يجعله مائلاً للتدين، فهو جزء من طبيعتنا. إذا لم نكن أتباع ديانة معينة فإننا قريباً سوف نخترع ديانة ما! فبعض الديانات تجعلنا سعداء أكثر من ديانات أخرى، لهذا: مجدداً أن تفترض أن ديانة ما هي الحقة فقط لأنها حققت لك السعادة وغيرت حياتك. لا يمكن لهذا أن يكون معياراً سليماً؛ لأنه وفقاً لهذا المعيار فإن العديد من الديانات يجب أن تكون صحيحة،لأنها غيرت حياة العديد من الناس أيضا، بل إنه حتى هؤلاء الذين قرروا عدم وجود خالق على الإطلاق، قد يزعمون أنهم كانوا يتبعون ديانة ما ولم يعودوا كذلك الآن، وهم أكثر سعادة وحرية! فكما يقول المثل: ماهو جيد لأنثى الإوز فهو جيد للذكر كذلك. فإن كان هذا الأمر صحيحاً للبعض فهو صحيح للآخرين.

فكل ما سبق هو مجرد ادعاءات، ادعاءات بحاجة لإثباتها.

ولذلك فالديانة الحقيقية (إن كانت موجودة) يجب أن يكون لديها هوية، يجب أن يكون لديها محددات نعرف من خلالها أن أصلها من عند الخالق.

فما هي الاختبارات التي نستطيع تطبيقها لمعرفتها؟

❋ ❋ ❋

الفصل الثالث:

اختبار التعاليم

الفصل الثالث
اختبار التعاليم

الاختبار الأول، وربما كان الأفضل والأكثر إقناعاً، والذي يتركنا مع خيارات قليلة للغاية.

ما الذي تخبره هذه الديانة عن الخالق بالضبط؟ أي الديانات تخبر أن الخالق واحد فريد ذو طبيعة لا تشبه شيئاً من الخلق: خالق فرد، أزلي، صمد، منزه، متعال؟

لست أنوي هنا أن أنتقص من بعض الديانات أو أسخر منها، بما أن جميع الديانات تشجع علىٰ مجموع من الأخلاق والقيم المتعارف عليها، ولكل الديانات نقاط قوة ونقاط ضعف، لكن الهدف هنا هو أن نفحص هذه الديانات تحت ضوء هذا المعيار البسيط المفهوم المتعارف عليه كونيّاً.

في ضوء ذلك فإن لدينا بشكل مثير للجدل ربما، ثلاث ديانات في المنافسة: اليهودية والزرادشتية والإسلام. وقد يدّعي المسيحيون أن لديهم الحق في الوجود علىٰ هذه القائمة، لكن علىٰ الأقل من موقع الاعتقاد المسيحي الطبيعي، فالمسيحية يجب أن تلحق باقي الديانات

في مساومتها أو تحريفها لهذا المفهوم عن الخالق الواحد المتنزه بشكل أو بآخر.

على سبيل المثال: الهندوسية عموماً لديهم مفهوم تعددي للخالق (وحدة الوجود)، فكرة أن الإله هو كل شيء، الكون والأرض والقمر والنجوم والشجر والحيوانات ونحن البشر كلنا إله.

كيف نستطيع عقلاً فهم وتعليل هذا الادعاء؟ إذا كنا نعني بالـ «الإله» هو الخالق، فإننا هكذا نقول أن المخلوق خلق نفسه، وأن المخلوق هو الخالق، كيف يفسر هذا الادعاء تنظيم كون متناهٍ، وما هو الدليل المنطقي لهذا الادعاء؟ فهذا هو حقا مثل القول إن الكون خلق نفسه، ولكن إن كان الكون غير موجود في وقت من الزمان، فكيف إذن خلق نفسه؟

كما أننا لا نعزو للكون القدرة على التنظيم والترتيب، فهي ليست من سمات وخواص الكون. إن الكون عبارة عن نجوم ومجرات، وهي بحد ذاتها بحاجة لخالق، وبما أنها تحتاج إلى منظم بشكل فردي، فهي أيضاً تحتاجه جماعياً، فمجموعة من الأشياء ذات الحاجة، لا تصبح بطريقة أو بأخرى غنية عن الحاجة. إنه من غير المرجح أن بلداً مليئاً بالناس الجوعى أقدر على إطعام نفسه من شخص جائع واحد.

تحوي المسيحية مشكلة مشابهة، فالعديد من المسيحيين بالطبع سيضعون الحجج نفسها لوجود الخالق التي وضعتها في هذا الكتاب،

لكنهم من ثمَّ يتبعون بقولهم إن المسيح عيسىٰ (عليه السلام)، وهو كائن محدود القدرة، محدود بالزمن، وليس غنيّاً عن الحاجة، هو الإله. المشكلة هنا واضحة. كيف يكون منطقيّاً لشيء واحد صفات متضادة في الوقت نفسه؟ كيف للمحدود أن يصبح غير محدود في الوقت نفسه؟ كيف يكون غنيّاً عن الحاجة ومحتاجاً في الوقت نفسه؟ أزليّاً ومؤقتاً في الوقت نفسه؟ فريداً واعتياديّاً؟ واحداً ومتعدداً في الوقت نفسه؟

هذا هو بالأحرىٰ كالقول مثلا: إن الدائرة أصبحت مربعاً، لكنها مازالت دائرة. يمكن للمرء أن يتخيل فكرة أن الخط الدائري قد طبق عليه قوة لكي يأخذ الشكل المربع، ولكن عندها لم يعد الشكل دائريّاً ببساطة، وقد يضع الدائرة في مربع أو المربع في دائرة، لكن لا يمكن أن يكون الاثنان معاً بنفس الوقت، هذا بالتعريف هو الاستحالة، ولا يمكن لأحد أن يقيم حجة منطقية للاستحالة، فهذا الادعاء لا يمكن إثباته، والمشكلة الكبرىٰ أن هذا يناقض الحجج المنطقية التي تثبت وجود الخالق أصلاً، فإن كان أحد الخلق المحدودين المحتاجين بإمكانه أن يكون خالقاً، فلم لا يكون آخر، وغيره وغيره؟ وكيف يمكنك أن تدافع بمنطق عن هذا المعتقد ضد تهمة تعددية الخالق مثلا؟

الرد لهذا يكون غالباً: «يستطيع الله فعل كل شيء». وهذا في حد ذاته هو زعم عن الخالق، والادعاءات عن الخالق كغيرها من

الادعاءات تحتاج لإثبات، وهي أيضا جملة مفعمة بالمشكلات، علىٰ سبيل المثال، قد يسأل سائل: «هل يستطيع الخالق أن يتوقف عن الوجود؟» أو: «هل يستطيع الخالق أن يقوم بالشر؟».

عادة هناك جوابان علىٰ سؤال كهذا، إما بالقول: «كلا»، وهذا يعارض ما قاله المسيحيون من أن الله قادر علىٰ فعل كل شيء، أو أن يقال: «نعم يستطيع إذا أراد، ولكن الله لا يفعل الشر؛ لأن الله بطبيعته خيّر».

فيكون الرد هنا: «لماذا إذن ينطبق هذا علىٰ خيرية الله، ولا ينطبق علىٰ صفاته الأخرىٰ؟» فالمعيار نفسه ينطبق علىٰ كون الله فردا، أزليـًا، غير محتاج، مثلما ينطبق علىٰ أنه ليس من طبيعة الله الشر ولا كونه مؤقتـًا ولا محتاجـًا. فالادعاء أن الله الخالق أصبح مخلوقـًا وبقي خالقـًا في الوقت نفسه، هو ادعاء لا يمكن إثباته؛ بما أنه بالتعريف استحالة، وهذا ينطبق علىٰ أي ديانة تدعي هذه الادعاءات عن الخالق، وهذا ينصرف أيضـًا علىٰ معظم ما يعتقده الهندوس والوثنيون عن الخالق؛ لأنهم يقولون بالادعاءات نفسها عن أن الله يتجسد في بعض الكائنات المخلوقة.

قد يدّعي بعض المسيحيين إنهم لا يعتقدون أن المسيح هو الله، بل ابن الله. المشكلة هنا ما هو المقصود بالقول: «ابن الله»؟ فالابن البشري هو بشر شبيه بأمه وأبيه، فهل ابن الله هو أيضا إله؟ فإن كان الأمر كذلك فقد عدنا من حيث بدأنا وللمشكلة السابقة نفسها، كما أن

الابن البشري هو نتاج عملية جنسية، فهل قام الله بهذه العملية، تعالىٰ عما يصفون؟ وهذا يناقض بشكل واضح كل ما نعرفه عن الله بأنه لا يشبه الخلق. ولكن ربما تبنىٰ الله المسيح كابن؟ هذا أيضًا ينافي المنطق؛ لأنك لا يمكن أن تتبنىٰ شيئًا كابن إلا إذا كان مثلك، كمثال: إذا تبنّىٰ أحد من الناس سمكة، وقال: هذا ابني، فلا أحد سيأخذه علىٰ محمل الجد. يمكن أن يحبها كابن، يمكن أن تأكل معه ويكون لها غرفة في المنزل، وربما تحصل علىٰ أوراق التبني، لكن تبقىٰ السمكة سمكة ويبقىٰ الإنسان إنسانًا، الاثنان لا يتشابهان، ونحن نعلم أن الخالق ليس كمثله شيء في الكون، فطبقًا للمثال الماضي: نحن أقرب شبها بالسمك من الخالق، فنحن كائنات محدودة متناهية محتاجة كالأسماك، بينما الخالق أزلي غير محتاج، ويجب أن يكون منزهًا عن الخلق، وعن أن يكون له ابن، سواء حرفيًا أو رمزيًا، ماعدا ربما في المعنىٰ المجازي من أن الأهل يعتنون بالأبناء، يوجهونهم، ويرعونهم، والخالق يفعل هذا لخلقه، وهذا المعنىٰ ينطبق علىٰ كل الخليقة وليس فقط البشر، ناهيك عن واحد من البشر.

أما بالنسبة للبوذية: فالخالق ليس له دور أبداً، مما يجعل من البوذية فلسفة أكثر من أن تكون ديانة، وهذا له مشكلاته، بالذات التفسيرات المتعلقة بـ: الهدف من الحياة، وسبب المعاناة، وما يحدث بعد الموت، فهي أفكار بشر وليست للإله. وما نحتاجه حقا في هذا الموضوع هو أجوبة نهائية حتمية أكيدة، تأتي فقط من الذي يعلم ما لا

نرىٰ، خالق ما لا نرىٰ، وكل شيء ماعدا ذلك فهو تخمينات.

وهناك بعض الديانات الأخرىٰ التي قد تذكر. السيخية تشبه البوذية في كونها لا تزعم أنها من أصول إلهية، ليس بشكل مباشر علىٰ الأقل، فمؤسس السيخية - غورو ناناك - انتقىٰ ما يظنه الأفضل من الهندوسية والأفضل من الإسلام، ودمجهما بطريقته الخاصة. هذا شيء قد يجذب الكثير منا للقيام به في مواجهة هذا الخيار، لكن هناك مشكلة منطقية بسيطة هنا: إذا كنا نؤمن بأن هناك وحي ورسالة من الخالق، فكيف يمكننا عقلا أن نتخلىٰ عن هداية الخالق ونتبع شيئا آخر، أو نجرؤ أن ندمجها بشيء آخر، مالم يكن بالطبع بإمكاننا إثبات أن الله يريدنا أن نفعل هذا؟ يمكن للمرء أن يكون قادرا علىٰ تبرير ذلك من الأفكار الهندوسية، ولكن من الصعب جدّاً أن يفعل هذا من وجهة نظر الإسلام أو اليهودية علىٰ سبيل المثال.

طبقنا حتىٰ الآن اختباراً واحداً لمعرفة ما إذا كان زعم بعض الديانات أنها من الخالق مقبولا أو مرفوضا. هل تتوافق مع الأساس المنطقي الذي من خلاله وصلنا إلىٰ أن هناك خالقاً واحداً فريداً أزليّاً صمداً، لا يشبه الخلق، منزهاً عنه. هل هناك أي معيار آخر نستطيع أن نقلص به لائحة المرشحين.

***

الفصل الرابع:

اختبار العالمية

الفصل الرابع
اختبار العالمية

ربما هناك اختبارات أخرىٰ نستطيع تطبيقها لنعلم إذا كانت الهوية صحيحة أم لا، إحدىٰ هذه الطرق المنطقية نوعا ما هي أن تكون الرسالة عالمية، المراد أن هذه الرسالة من الخالق يجب أن تكون للجميع، بما أن جميع البشر لديهم القدرة العقلية لفهم أسباب وجود الخالق، والقدرة علىٰ طرح هذه الأسئلة العميقة عن سبب الوجود والحياة والموت والكون وكل شيء، فإنه من غير المعقول أن الخالق سيعطي الهداية لمجموعة مختارة من الناس ويستبعد البقية، لكن بالطبع قد يكون منطقيّاً أن يختار مجموعة من الناس لحمل هذه الرسالة وتطبيقها، كما يبدو منطقيّاً أن تعطىٰ هذه الرسالة لشخص مميز، بدلاً عن التكلم مع كل شخص بشكل فردي، لكن إن كان الأمر أن هذه المجموعة هي الخاصة فقط بالرسالة فسيدعو الأمر إلىٰ التساؤل ماذا لو كنا لسنا من هذه المجموعة ماذا علينا أن نفعل؟ ماذا يحصل لنا؟ قد يبدو غريباً أن الخالق القادر علىٰ أن يؤمّن لكل فرد الاحتياجات الجسدية، لا يؤمّن الاحتياجات النفسية والعقلية

والروحية، الاحتياجات الكبرىٰ، التي هي أجوبة الأسئلة الكبرىٰ!

هذا السبب يستبعد الديانة اليهودية، فاليهودية جيدة إذا كنت مولوداً من أم يهودية، لكنها ليست جيدة في غير هذا الحال! بالرغم من أن العديد منا يميل إلىٰ التفكير بطريقة أو بأخرىٰ أن البلد الذي ننتمي إليه أو العرق أو القبيلة أو المدينة أو حتىٰ فريق الكرة، هو الأفضل (أو علىٰ الأقل سيكون الأفضل يوما ما)، ومعظمنا قد يجد أنه من الصعب عليه هضم فكرة أنه إن لم تكن مولوداً لعرق أو قبيلة معينة فإنه ليس لديك أمل في الحصول علىٰ البركة الأبدية ودخول الجنة بعد الموت، وأن الحكمة الإلهية هي حكر لهم وليست لغيرهم، فحتىٰ لو كان الأمر صحيحاً، فإن أغلب الناس سيرفضون الفكرة علىٰ أنها غير محتملة بكل الأحوال! وهناك أسباب أخرىٰ وراء إقصاء اليهودية من الصحة منطقيّاً، لكن ليس هذا وقتها.

وعليّ أن أتوقف هنا لاستراحة بسيطة.

قد حذرتك منذ البداية إن هذا الكلام لن يعجبك!

ربما كان عليّ أن أحذرك أكثر قليلا منذ البداية أن استنتاجات هذا المنهج العقلي قد تعني معارضة رغباتك تماما ولما تظن أنك تريده من هذه الحياة، ربما كان عليّ تحذيرك من أنك ربما ستكره الحقيقة، وإذا كنت أحد الناس الذين يظنون أن حياتهم كما هي جيدة، وأنك قد حصلت علىٰ ما أردت بأية حال، فأنا أحذرك أن هناك العديد من الأسباب تجعل الأمور لن تبقىٰ كما هي عليه بالنسبة لك لفترة

طويلة، فإن كنت من هذا النوع من الناس فأنت لن تستمع بأي حال، فأقول.

تحذير

ما يلي هو فقط للأشخاص الذين هم علىٰ استعداد حقا لوضع مفاهيمهم السابقة جانباً، ولأن يفكروا بشكل أعمق قليلا ويتبعوا النتيجة الأكثر منطقية.

سارت الأمور بسلاسة حتىٰ الآن، لكن الآتي سيكون كالقيادة علىٰ أرض وعرة عندما يتعلق الأمر بنوعية القرارات والاستنتاجات التي عليك اتخاذها. لست أحاول أن أحبطك، لأن الأمر سيكون مستحقّاً للجهد، فبعد كل شيء، هل يوجد أي شيء يستحق الحصول عليه من غير أن يُبذل بعض الجهد للحصول عليه؟ النتائج التي أقودك إليها هنا ستحتاج بعض الجهد للمتابعة، وفي الحقيقة فإن بعضها يحتاج الكثير من الجهد.

الجهد هنا ليس جسديّاً، ولا عقليّاً بمعنىٰ الحاجة إلىٰ التفكير كثيراً، فإذا كنت قد وافقت علىٰ استخدام العقل والمنطق السليم للوصول إلىٰ نتائجك، وإذا كنت مستعدّاً لاتخاذ الخيار الأكثر منطقية، وكان هذا كل ما يهمك، أظن أنك ستكون علىٰ ما يرام، أما البعض الآخر فلا، البعض ممن يقرأ هذا قد يتفق مع كل شيء وبعدها سيستمر بعيش حياته بالطريقة نفسها التي عاشها دائماً، أو علىٰ الأقل ستحاول، وأقول تحاول لأنك لن تكون قادراً علىٰ ذلك، لأنني أتكلم

عن تجربة. الآتي سيقودك إلىٰ نتائج قد تكون للبعض حقائق صادمة، والبعض قد يكون شك بصحتها من قبل. لكن هناك شيئا واحدا مؤكدا، إنك حينما تعرف الحقيقة فلن تعود حياتك كما كانت أبدا، وستلازمك دائماً، فمهما حاولت الهرب فلن تستطيع الهروب من نفسك.

قد تم تحذيرك

إذن لنعد لما توقفنا عنده...

هذا يتركنا مع متنافسين اثنين: الزرادشتية والإسلام.

هناك عدة أسباب لماذا يتفوق الإسلام علىٰ الزرادشتية، أولاً أن الإسلام يدعي أن رسالته عالمية لكل الناس، علىٰ عكس ما قد يظن البعض وما يتصرف وفقه بعض المسلمين، فالإسلام ليس ديناً عربيّاً أو باكستانيّاً أو هنديّاً، إنه دين للبيض المتحدثين بالإنجليزية علىٰ قدر ما هو للعرب، والأفارقة والإسكيمويين.

ومن اللافت للنظر أن كلمة إسلام هي كلمة عربية ذات معنىٰ، وهو لفظ وصفي يعني الخضوع والاستسلام للخالق. فالمسلم إذن هو من يدعي الطاعة والانقياد لهداية الخالق، وهو يدعي أيضاً أن الرسالة الأساسية هي الإيمان والانقياد لله الواحد المنزه المتفرد، وهي الرسالة الأساسية التي أرسلها الله عبر أشخاص مميزين مختارين والمسمّين بالرسل أوالأنبياء، فاسم هذه الديانة ليس مرتبطاً بشخص أو مكان معين، اليهودية (يهوذا)، المسيحية (المسيح)، البوذية (بوذا)،

الهندوسية (الهند)، الزرادشتية (زرادشت)، كلها مرتبطة بأسماء أشخاص أو أماكن، فمثلاً: إن كان شخص يعيش في مكان بعيد، ولم يسمع أبدا أن رجلاً اسمه عيسىٰ وهو أيضاً إله وابن الله، وأنه مات من أجل أن يمحو خطايا شخص، فمن المستحيل أن يتمكن هذا الشخص من إدراك ذلك من خلال عقله أو تجربته. لن تستطيع أبدا أن تجعل هذه النتيجة منطقية، فيجب أن يخبرك أحد بذلك. أما في الإسلام فالحال ليس كهذا، فالرسالة الأساسية للإسلام أن هناك خالقاً متفردا يجب أن نتبع هدايته، وهو أمر يستطيع أي أحد الوصول إليه واستنتاجه، وكفكرة فإن الإسلام - الاستسلام لإله واحد - هي فكرة عالمية بحق.



الفصل الخامس:

اختبار الشخصية

الفصل الخامس
اختبار الشخصية

هناك أيضاً بعض الاختبارات التي يمكن أن تطبق.

الأول مرتبط بطابع وشخصية الفرد المدّعي، فإذا كان الشخص الذي يدعي حمل الرسالة من الخالق معروفاً بالصدق والأمانة والإخلاص، فسيصبح من السهل قبول أن ما يقول هذا الرجل هو الصدق بما يتعلق بالرسالة التي يحملها من الخالق، لكن هذا بالطبع يمكن أن يواجه بادعاء أن هذا الشخص ببساطة مضلل، يظن أنه يحمل رسالة من الخالق وهو صادق وأمين في قوله، ولكن تجاربه هي نتاج هلوسات عقلية، فكيف نعلم أن الأمر غير ذلك؟

بالتأكيد لا أحد منا يريد أن يكون مخدوعاً أو أن يؤخذ علىٰ غفلة علىٰ يد محتال أو أن ينتهي به الأمر تابعا لمجنون، وبالطبع فالمحتال الجيد سيفعل كل ما بوسعه لجعلك تعتقد أنه صادق ومخلص، وغالباً سيغريك بعروض تبدو جيدة جدا لتكون حقيقية. المشكلة هنا أننا يمكن بسهولة أن نعود إلىٰ حيث بدأنا، فكل المتنافسين قد يظهرون بمظهر الشخصية الصادقة، لكن النقطة هنا أننا

لا نتعامل مع المدعين أنفسهم، نحن لا نتعامل مع موسىٰ، أو كريشنا، أو بوذا أو زرادشت، ولا عيسىٰ ولا محمد أو غورو نانـاك، ليسوا هـم من يطرق بابنا، بل أناس يزعمون أنهم يمثلونهم ويمثلون أقوالهم، كـل ما لدينا هو أشياء قيلت عنهم وكتبت عنهم، لذا فقبـل أن نفحـص هـذه الشخصيات علينا أن نكوّن فكرة عن كيف نعرف ما قالوه فعـلا خلافـا لما يدعيه الناس أنهم قالوه. لهذا فإن صحة النصوص أمر ذو أهميـة، وهذا من مشكلات الزرادشتية، فلا شيء محفوظ من كتابات أو أقوال زرادشت الفعلية، وما بقـي إلا الطقـوس الدينيـة، وبعـض الأفكـار من اللاهوت، لكن كلامه الأصلي مفقود بشكل أو بآخر. والمشكلات في صحة النصوص الإنجيلية معروفة حتىٰ للعلمـاء المـسيحيين واليهـود الـصادقين. وفي هـذا المجـال يتميـز القـرآن ويتفـوق حقـًا، الكتـاب المقدس الرئيسي في الإسلام، فليس هنالك جـدل حـول صـحة الـنص القرآني، وفي الحقيقة يمكن لأي شخص أن يأخذ نسخة من القرآن مـن أي مسجد في أي مكان في العالم، ويستطيع مقارنتها مـع المخطوطـات المحفوظة التي تعود لثلاثين سنة بعد وفاة الرسول محمـد وسيجد أن النص دون تغيير إلا من ناحية طريقة الكتابة وبعض علامات التـشكيل التي تساعد في النطق، وهذا شيء لافت للنظر لنص عمره فوق الألـف والأربعمئة عام، وليس فقط السجل الممتاز للمحفوظات المكتوبة ما يلفت النظر، بل إن القـرآن لـه تـاريخ في المحفوظـات الـشفهية أيـضـًا، ويدعي المسلمون أن الكتـب المقدسـة الأخرىٰ قـد تعرضـت للتغيير

والتحريف والضياع بطرق متعددة، أما القرآن (كلام الله) فقد وعد الخالق بحفظه، لأنه آخر وحي منه للبشر، وبالتالي فمحمد هو آخر الرسل، ومع أن المسلمين هم بشر ويخطئون لكن هذا لا يمثل بالضرورة الوجه الحقيقي للديانة، فالقرآن وتعاليم النبي ما زالت صحيحة ليرىٰ الناس الرسالة الحقيقية من الله.

هذا ما يدعيه المسلمون، ولكن أليس هنالك العديد من المشكلات في الإسلام؟

أعني كيف يمكن لأحد في العالم المتحضر الحر أو في أي مكان، أن يُتوقع منه اتباع دين عمره ١٤٠٠ عام؟ إنهم يعاملون النساء كمواطنات من الدرجة الثانية، (مع أنه في العالم المتحضر الحر فالنساء ما زلن يتقاضين أجوراً أقل من الرجال في الوظائف نفسها، ويعرضن كأنهن بضائع جنسية، ويعانين من كم مرعب من الاستغلال الجنسي والجسدي، ويواجهن صعوبة في أن يلقين احتراماً كأمهات وزوجات، ولكن علىٰ الأقل فالعالم المتحضر يدعي أن النساء لهن حقوق متساوية!). كما أن القرآن يقول بضرب الزوجات في بعض الحالات، ويمكن للرجال أن يكون لديهم أربع زوجات وعدد غير محدد من ملك اليمين، هذا جيد للرجال! وهم يحصلون علىٰ ضعف الميراث وشهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل!

وهناك أيضاً أمر الجهاد وكل هذا الإرهاب «وقتل الكفار حيث وجدوا».

وماذا عن كل تلك القوانين التي تبدو بربرية من قطع ليد السارق، وقتل للمرتدين والزناة (وكيف أن النساء دائما هن اللواتي يقتلن فقط)، والموت للمثليين، وجلد شاربي الخمر، وحتىٰ صلب قطاع الطرق!

أليس القرآن مثله كمثل أي كتاب ديني آخر؟ مليئـًا بالتناقضات والعبارات الغامضة، ومفتوحـًا لتفسيرات متعددة؟

إن القرآن مختلف عن باقي الكتب السماوية الأخرىٰ، علىٰ الأقل من ناحية واحدة، وهي حقيقة حفظه غير المتنازع بأمرها. ثم مجددا كم من القضايا التي لدىٰ الناس ضد الإسلام والمتعلقة بتعاليم القرآن والنبي مقارنة بسلوك المسلمين.

فلننظر إلىٰ هذا الأمر من ناحية عقلية بعيداً عن العاطفة.

هل حقيقة أن القرآن يقول بتعاليم تخالف العادات والأعراف التي اعتدنا عليها، تعني أنه ليس من عند الخالق؟

في الحقيقة ليس هناك أي سبب منطقيّ ينفي أن أيّـًا من الأمور المذكورة آنفـًا من منشأ إلهي. فما المشكلة إذا لم تكن تلك التعاليم متوافقة مع الحياة الحديثة؟ لعل الخالق لا يحب هذه العصرية أو أي فكر صنعه البشر. أنا لا أقول إن هذا هو الحال فعلا، ولكني فقط أثبت أن هذا ليس سببـًا منطقيا لرفض القرآن ككتاب من الخالق، وفي هذا الصدد فإن كل الديانات تقريبا تشترك مع الإسلام في التشكيك بجدوىٰ نظام الحياة المبني علىٰ المادية البحتة والمتعة، والتي تتسم

بها هذه الحياة العصرية.

المشكلة في الحكم على أي كتاب أو تنزيل بناء على الأخلاق والقوانين فقط، أن هذه الأخلاق والقوانين هي أصلاً غير متفق عليها عالميّاً. فعلى سبيل المثال: هناك أشياء قد تبدو كعقوبات قاسية جدّاً في ثقافة ما ولكنها تبدو غير ذلك في ثقافات أخرى. تحديد عدد الزوجات قد يبدو تحديداً غير منطقي في مجتمعات تعتمد على الزواج لتوفير الأمن الاجتماعي للنساء ويمارسون تعدد الزوجات غير المحدود. فبالنسبة لهم فإن قانون الزواج من زوجة واحدة قد يبدو جنوناً، بالذات في نظر النساء اللاتي يعتمدن على التعدد لأمنهن، هذا النظام الذي أنشأ نفسه تحت شعار «العالم الحر المتحضر» هو نفسه يغير القوانين والأخلاق باستمرار بناءً على العديد من الأشياء، الأشياء التي كانت سيئة قبل عشر سنوات تعتبر اليوم مقبولة، والعكس صحيح، ومع هذا فبعض المتحدثين عن القيم لـ «العالم الحر» يتحدثون عما يعتبرونه أخلاقهم وقيمهم وكأنها مقدسة ومنزلة، وهي ليست كذلك بالطبع، بل العكس هو الصحيح.

النقطة هنا هي أن المشكلة الكبرى لدى بعض الناس مع الإسلام هي في الواقع ليست حقا معيارا صحيحا يمكن من خلالها الحكم عليه، بل منطقيّاً يجب على الإنسان أن يقول: إذا كان لدينا أسباب وأدلة مقنعة أن هذا الكتاب منزل من الخالق، فعلى الإنسان أن يرضى بأن الخالق يعلم ما هو الأفضل لنا. في الحقيقة إن الإنسان يميل إلى أن

يختار أخلاقاً ومبادئ وقوانين تشعره بالراحة بدلاً من أن يختار ما يكون حقّاً ذا منفعة حقيقية له، أو أن بعض الناس (كأصحاب السلطة) يخترعون نظماً وقوانين وقيماً أخلاقية لتبقيهم في السلطة! فالحقيقة هي أن هناك الكثير من الأشياء النافعة لنا ولا نحبها، ونحب أشياءَ هي في الحقيقة ضارة لنا، لذلك فعلينا أن نضع مسألة مايسمىٰ بعدم توافق الإسلام مع الحياة المعاصرة جانباً ونعتبرها تعمية عن القضية الجوهرية (أو أنها يمكن أن تكون رجلاً آخر بسروال أحمر).

ربما حان الوقت الآن لتناول الحبة الأكثر مرارة حتىٰ الآن، حان الوقت لتقبل ما قد يكون للبعض أصعب حقيقة، وهي أن القرآن هو الهداية من الخالق، وأن محمداً هو رسول الله، ويجب علينا علىٰ الأقل أن نضع افتراضاتنا السابقة جانباً، ونلقي نظرة بعقل مفتوح علىٰ الحجج المنطقية التي قدمت لصالح أن القرآن هو الهدي من الخالق، ففي النهاية يوجد لدىٰ القرآن نقاط تثبت هذا الزعم، فلنعرضها مرة أخرىٰ. أولاً: ما يقول القرآن عن الخالق يطابق ما قد يفهمه منطقيّاً أي شخص عن الخالق في أي مكان، أي أن هناك خالق فرد ليس كالخلق، ويوجد العديد من الآيات في القرآن تشرح هذه الفكرة، مثل: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (الإخلاص:١ - ٤).

بعض الناس يتساءل عن استخدام لفظ «هو» في القرآن، هل هذا يعني أن الخالق رجل؟ الخالق وفقاً لهذه الآيات لا يشبه شيئاً. النقطة

أن العربية كغيرها من اللغات وهي اللغة الأصلية للقرآن، تحتوي فقط علىٰ توصيف للذكر والأنثىٰ، ولا يوجد جنس محايد، وحتىٰ في اللغة الإنجليزية، لفظ it (اسم الإشارة لغير العاقل) لا يبدو مناسباً للتكلم عن الله، فيستخدم he الذي هو الجنس المستخدم لوصف الله في القرآن، لكن هذا لا يفيد أن الله هو رجل أو ذكر.

ثانياً: مما يصب في مصلحة الإسلام أن التنزيل محفوظ بطريقة استثنائية، فتاريخ هذا الحفظ وحده جدير بالدراسة، ولكن للاختصار سأنقل بعض التعليقات من مختلف العلماء في هذا المجال، فعلىٰ سبيل المثال:

المستشرق ريتشارد بيرتون يكتب عن القرآن الموجود اليوم أنه: «النص الذي نزل لنا في الشكل الذي نظمه وأقرّه النبي... ما لدينا اليوم بين أيدينا هو مصحف محمد».

ويصف كينيث كريج نقل القرآن منذ نزول الوحي إلىٰ اليوم: «كتسلسل غير منقطع من الإخلاص».

شوالي كتب في (تاريخ القرآن): «بالنسبة لما يتعلق بقطع التنزيل، فنحن واثقون أن نصّهم قد نُقل عموماً تماماً كما وجد في إرث النبي».

هؤلاء الخبراء يبدون مقتنعين تماماً بصحة القرآن.

ثالث الأسباب الذي يجب أن ننتبه له: هو أن رسالة الإسلام عالمية، أي أنها لكل الناس، بغض النظر عن العرق والمكانة

الاجتماعية، وهذا واضح في التعاليم التي تقول إن الله لا ينظر إلىٰ لون الشخص وعرقه وقبيلته ومستواه المادي ومكانته، ولكن ينظر إلىٰ قلب الشخص وخيريته وعمله.

ومع هذا، فالقرآن ليس للقراءة العارضة، فقد يكون صعباً علىٰ الشخص أن يفهمه، بما أنه لا يتبع ترتيباً معيّناً للأحداث أو الموضوعات، وهو يكرر نفسه في مواضع كثيرة، وحتىٰ في أفضل ترجمة إنجليزية له فإن نظمه يعتبر تحدياً بلاغياً لإيصال المعنىٰ بأقل عدد من الكلمات، ولفهمه فإنك مجبر علىٰ التفكير، والتفكر هو ما يطلب منك القرآن فعله في كثير من المواضع.

وعلىٰ الرغم من هذا فإن رسالته الأساسية واضحة جداً: لا يوجد سوىٰ رب واحد رحمن رحيم عطوف بكل خلقه، وبالذات المتواضعين منهم والمؤمنين، وهو أيضاً شديد العقاب للذين يتكبرون ويرفضون الحقيقة. الحياة هي اختبار، وعندما نموت وينتهي هذا الكون الذي نعرفه سيكون هناك يوم يعاد فيه خلقنا جسديّاً ونحاسب، فإما نجزىٰ خيراً بالنعيم الأبدي، أو نجزىٰ سوءاً بالعذاب الأبدي.

حسنا، قد أخبرتكم منذ البداية أن هناك أشياء لن تعجبكم، كالموت والنار! ومع ذلك، فإن حقيقة أننا لا نحب شيئا ما لا يعني أنه ليس حقيقيا أو صحيحا.

هل هناك أي شيء آخر يساعدنا لقبول زعم أن القرآن هو من عند خالق السماوات والأرض؟ القرآن نفسه يعطي اختباراً للصحة،

وهذا طبعـًا اختبار جيد يمكن تطبيقه علىٰ أي كتاب يزعم أنـه مـن عنـد الخالق.

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢).

النقطـة هنـا أنـه إذا كـان الكتـاب مـن عنـد خـالق كـل شـيء، فمـن المنطقي استنتاج أن هذا الخالق الفريد يجب أن يكون ذا حكمة وذكاء عظـيم، لمـستوىٰ يتخطـىٰ الإدراك البـشري، ومـن المؤكـد أن يتوقـع الـشخص أن الخـالق عنـده علـم عـن عمـل الطبيعـة والكـون، وعـن الأحداث في تاريخ البشرية.

ومن المثير للدهشة أن القرآن ليس فقـط خاليـًا مـن التناقـضات، بل إن له أقوالا عن التاريخ، والتوحيد والفلسفة، وعن القانون والعالـم الطبيعي، وهذه الأقوال تتحدىٰ التفسير البشري.

وهناك أيضـًا ميزة أخرىٰ لافتة للانتباه في القرآن، وهـي أنـه إلـىٰ اليوم لا يزال قائما كأكثر قطعة أدبية تميزا في اللغة العربية، بـل إن القـرآن نفسه تحدىٰ العرب الذين كانوا أسياد الشعر والمهارات اللغويـة، ليـأتوا بسورة واحدة فقط مـن مثـل القـرآن، فأصـغر سـورة في القـرآن هـي فقـط ثلاث آيات! في وقـت كـان فيـه الـشعراء العـرب مثـل «نجـوم البـوب» في بلادهـم، ومحمـد لـم يظهـر أي قـدرة شـعرية، لا قبـل التنزيـل ولا حتـىٰ بعده، وفي الحقيقة إن أقواله وأحاديثه مختلفـة لغويـًا عـن القـرآن بـشكل واضح ويمكن تمييزها عنه بسهولة. وقـد أقرّ العديـد مـن أمهـر الـشعراء

والخطباء في ذلك الوقت أن هذا ليس من كلام محمد، ولا حتىٰ من كلام البشر، والعديد منهم قد اعتنق الإسلام بمجرد سماع القرآن يتلىٰ، فقد كان هذا بالنسبة لهم أكبر دليل علىٰ أن القرآن تنزيل إلهي. وبالطبع قد يبدو هذا الشيء صعب علينا إدراكه اليوم، ولكن هذا الأمر يبقىٰ حقيقة تاريخية. ويبقىٰ السؤال: كيف لشخص لا يملك الموهبة الشعرية القدرة علىٰ إنتاج قطعة أدبية تقف إلىٰ اليوم كأعظم ما قدمته اللغة العربية، في الوقت الذي أنتجت فيه أفضل القصائد والقطع الشعرية في التاريخ كله، وإذا أردنا أن نقرب هذا إلىٰ مفهوم اليوم المعاصر، قد نقول إنه استثنائي كشخص غير متعلم وليس له أي تدريب أو خلفية علمية، يقدم نظرية لا تقبل الخطأ في الفيزياء.

كان محمد كأغلب الناس في بلاد العرب في ذلك الوقت، لا يكتبون ولا يقرؤون، ولم تكن لديه وسائل الحصول علىٰ تلك المعرفة، وقد كان هذا الأمر بالفعل تحدياً مستمرا لأعدائه في ذلك الوقت، كما كان كذلك علىٰ مر التاريخ لأولئك الذين يرفضون قبول أن القرآن منزل من الخالق، ومن أين له أن يأتي بكل تلك المعلومات؟ حتىٰ أن بعض المجادلين المسيحيين ذهبوا إلىٰ حد زعم أن محمداً كان في الحقيقة أسقفاً مسيحيّاً مهرطقاً هرب إلىٰ بلاد العرب! وزعم آخرون إنه تعلم من راهب منشق! وعلىٰ أي حال فإنه علىٰ الرغم من التاريخ الغني الموثق عن حياة محمد، لا يبدو أن هناك من هو قادر علىٰ تعريف هذه الشخصية وكيف تمكن من البقاء متخفيا طوال فترة

ثلاث وعشرين سنة والنبي يدعو! وهذا بالطبع يثير مسألة أخرىٰ، وهي القول بأن القرآن مبتدَع، وأن محمداً كان كاذباً، وادعاء كهذا فيه إشكالات كبيرة لأن أي دراسة لحياة النبي محمد تظهر بوضوح إخلاصه وصدقه، فمواصفاته لا تتوافق مع شخصية المحتال، مما دفع بآخرين من المجادلين إلىٰ الزعم بأنه كان مضلَّلاً ومجنونا ويعتقد حقيقة أنه نبي، ومن ثَم أقنع نفسه وأقنع الآخرين. ولكن هذا يتركنا مع اللغز غير المفسر للمعلومات الدقيقة والمعرفة التي يحتويها القرآن.

المنطق يقول إنه لا يمكن أن يكون أحد كاذباً ومضلَّلاً في الوقت نفسه.

إذا كنت تظن حقّاً أنك نبي، وتعتقد حقا أنك تتلقىٰ معلومات من الله، فعندما يسألك أحد سؤالاً صعباً كما كان الحال مع محمد، فإنك لن تهرع إلىٰ أقرب قسيس أو راهب لتعرف الجواب، فأنت مقتنع أنك نبي وأن الله سيخبرك.

فالتعليل الأكثر منطقية الذي يفسر ظاهرة كلٍ من المستوىٰ المدهش لدقة معلومات القرآن وصدق الرسول محمد: أنه كان حقّاً ما يقول، رسول من الله. يبدو أن هذا وحده هو التفسير المعقول للمعلومات، لأن هذه المعرفة هي من الخالق، وتثبت هذا الأمر. صدق النبي محمد وإخلاصه وسلوكه المبني علىٰ المبادئ يفسر بأنه كان حقّاً ما يقول، وأنه يقيناً تلقىٰ رسالة إلهية.

❁ ❁ ❁

الفصل السادس:
مستوى مدهش من المعلومات

الفصل السادس
مستوى مدهش من المعلومات

ربما يتساءل البعض منكم الآن: ما هو بالتحديد هذا «المستوىٰ المدهش من المعلومات» والذي أتحدث عنه، هذا الموضوع واسع بذاته والذي قد يملأ مجلدات، ومن ثم فإنه سيترتب علينا أن نضيف كل الحجج والحجج المضادة، ما سيملأ مجلدات أخرىٰ! هناك بعض القراءات الموصىٰ بها وبعض المواقع الإلكترونية في نهاية هذا الكتاب إن كنت مهتمّـًا بالبحث بصورة أعمق، ولكني هنا سأقوم باختيار بعض الأمور التي أجدها شخصيًا مدهشة ومقنعة.

الأول متعلق بالأحداث التاريخية. حاول العديد من النصارىٰ اتهام النبي محمد بمحاولة نسخ واستخدام الإنجيل، وهذا اتهام سخيف جدا؛ لعدة أسباب، أحدها: أنه لا يوجد إنجيل باللغة العربية في ذلك الوقت، وحتىٰ لو كان موجوداً فإن محمداً لم يكن ليستطيع قراءته. هناك العديد من الأقوام المذكورين في القرآن هم أيضـًا مذكورون في الإنجيل، وهذا يعود لأنهم في الغالب أنبياء ورسل من الله، ولأن القرآن هو آخر تنزيل من الله فإنه يقدّم حياتهم كأمثلة جديرة

بالذكر لإلهام وتحفيز المؤمنين في مستقبلهم. وليس غريباً أن يُذكر إبراهيم؛ بما أن العرب يعتبرونه أباهم من خلال ابنه إسماعيل، كما أنه من المصطلحات الإنجيلية المستخدمة لوصف العرب هو الإسماعيليون؛ لأنهم ينحدرون من نسله، وعلىٰ أي حال فإن ما قد يبدو غريباً وصعباً علىٰ التفسير هو الكم المتعلق بموسىٰ في القرآن. التفسير البسيط لهذا بالطبع: هو أن التحديات والصعوبات التي واجهها محمداً كانت تشابه ما مر به موسىٰ، لذا فتجربة موسىٰ كانت مرشدة ومفيدة وملهمة لخاتم الأنبياء.

هناك تفصيلان مدهشان دقيقان معبران مأخوذان من قصص القرآن.

الأول: من المثير للانتباه أن يوسف (ابن إسرائيل أو يعقوب) مذكور أيضاً في القرآن هكذا، لم يشر أبدا إلىٰ حاكم مصر في ذلك الوقت بأنه فرعون، بل وصفه بأنه ملك، في حين أن موسىٰ كان واضحا أنه يتعامل مع فرعون، والإنجيل يصف كلا الحاكمين بالفرعون، وقد يظن البعض أنها ليست مشكلة كبيرة، إلا أننا عندما نحاول أن نحدد مكان يوسف في التاريخ، نجد أن السلالة الحاكمة لمصر في ذلك الوقت كانوا في الواقع هم الهكسوس، وكانوا من الساميين الذين لم يستخدموا لقب فرعون الذي كان يستخدمه المصريون الأصليون لحكامهم، أما في عهد موسىٰ فكان الحاكم مصريّا أصليّا، والذي كان قد حل محل الهكسوس وبدأ بقمع بني

إسرائيل، فلو كان محمد قد نسخ الإنجيل فلمَ لم ينسخ هذا الخطأ التاريخي، ومن أين حصل علىٰ هذه المعلومات الدقيقة؟ فلم يكن هناك جامعات بأقسام تدرّس العلوم المصرية في ذلك الوقت، وعلم قراءة الهيروغليفية كان علماً مفقودا منذ مئات السنين قبل ذلك، ولم يعرف مجددا إلا بعد ذلك بألف عام عند اكتشاف حجر رشيد. هذا ما يجعل التفصيل الثاني مدهشا أكثر.

يحكي القرآن قصة موسىٰ وكيف أنه ذهب إلىٰ فرعون ودعاه للإيمان، بدأ فرعون يسأل موسىٰ عن ربه الذي لا يُرىٰ فوق السماوات، وكان فرعون يظن نفسه إلهاً، وكان يظن أنه يستطيع أن يتحكم بالآلهة بواسطة السحر، فقال لأحد رجاله بكل تكبر: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ ﴾ (غافر: ٣٦-٣٧).

دار الكثير من الجدل حول ذكر هامان هذا هنا، والزعم أن محمداً قد نسخ القصص من الإنجيل، وخلط الأمور ببعضها البعض.

فهناك هامان في الإنجيل في سفر إستر، وهو الكتاب الذي يعتبر مشكوكا بصحته أساساً، وهو يضع شخصية هامان في وقت لاحق في بلاد الفرس كوزير في محكمة أحشورش، وعلىٰ أي حال فإنه لا يوجد أي سجلات تاريخية منفصلة تشير إلىٰ وجود هذه الشخصية في بلاد الفرس، وفي الواقع إن علماء الإنجيل عرّفوا شخصية هامان علىٰ أنه رب العيلامية هامان، أو أنه همايون الفارسي ما يعني اللامع، أو في

الاسم الفارسي أوانس.

وعلىٰ العكس تماماً نحن المسلمون - بخلاف آراء المجادلين النصارىٰ الساخرة - نقول إن هامان وجد في مصر القديمة، وهذا الوصف يطابق الحقيقة تماماً.

كان الدكتور موريس بوكاي أحد أوائل الأشخاص الذين درسوا اسم هامان من وجهة نظر العلوم المصرية Egyptology، وخمّن إنه بما أن هامان قد ذكر في القرآن في عهد موسىٰ في مصر، فأفضل ما يمكن فعله هو سؤال مختص في مجال اللغة المصرية القديمة كالهيروغليفية بما يخص اسمه، يروي بوكاي مناقشة مثيرة للاهتمام جرت بينه وبين عالم مصريات فرنسي بارز:

«في كتاب تدبرات في القرآن أشرت إلىٰ نتيجة الاستشارة التي تعود إلىٰ اثني عشر عاماً مضت ودفعتني إلىٰ أن أسأل خبيراً يكون - إضافة إلىٰ معرفته اللغة العربية الأصلية - أيضاً أحد أبرز علماء المصريات الفرنسيين، وباستكماله هذه الشروط كان كريماً بإجابته علىٰ هذا السؤال.

أريته كلمة «هامان» التي نسختها تماما كما وجدت في القرآن، وأخبرته أن هذه الكلمة مستخرجة من نص يعود إلىٰ القرن السابع بعد الميلاد، وأن هذا النص يتعلق بشخص كان متصلاً بالتاريخ المصري.

قال لي إنه في هذه الحالة سيقوم برؤية الترجمة الحرفية لهذه الكلمة بالهيروغليفية، ولكن بالنسبة له فلا شك أنه من المستحيل أن

يحتوي نص يعود للقرن السابع بعد الميلاد على اسم هيروغليفي، لأنه في ذلك الوقت كانت الهيروغليفية منسية تماماً.

ولأجل أن نؤكد هذا الاستنباط عن الاسم، نصحني أن أستشير معجم رانك الخاص بالأسماء في المملكة الحديثة، حيث يمكن أن أجد الاسم مكتوباً بالهيروغليفية كما كتبه هو من قبلي، والترجمة الحرفية باللغة الألمانية.

فاكتشفت كل ما كان مفترضاً من قبل الخبير، وعلاوة على ذلك كنت مذهولاً عندما قرأت عمل هامان (رئيس العمال في مقالع الحجارة)، وهو مطابق لما يمكن استنتاجه من القرآن عبر كلمات فرعون عندما طلب منه بناء الصرح.

عندما عدت مجدداً إلى الخبير مع نسخة مصورة مما وجدته في المعجم بخصوص هامان، وأريته إحدى صفحات القرآن حيث يمكنه أن يقرأ الاسم، كان عاجزا عن الكلام...

علاوة على ذلك، ذكر رانك كمرجع، كتاباً نشر في عام ١٩٠٦ بواسطة عالم المصريات والتر ريزينسكي: «ذكر الأخير إن الاسم هامان كان محفوراً على حجر شاهد قبر محفوظ في متحف هوف في فيينا (النمسا). وبعد عدة سنوات عندما تمكنت من قراءة اختصاص هامان بالهيروغليفية على ذلك الحجر، لاحظت أن التعريف الذي رافق الاسم قد شدد على العلاقة الحميمة مع فرعون».

وهذا ما أسميه بـ «المستوى المدهش من المعلومات»!

من أين أتىٰ محمد بكل هذه المعلومات إذا لم تكن من الله؟

وهناك المزيد.

فقط تفكر في العالم قبل ١٤٠٠ سنة ومستوىٰ المعرفة الذي كان موجوداً، أو بالأحرىٰ مستوىٰ الجهل الذي كان مستشرياً، بالذات فيما يخص العالم الطبيعي. بالطبع بعض الفلاسفة والمفكرين قاموا باكتشافات مذهلة، فقد قدّروا محيط الأرض، ولكنهم أيضاً كتبوا العديد من الأشياء الخاطئة، وقد ازدهرت العديد من الأساطير والخرافات أيضا. فعند قراءة القرآن تراه خالياً بوضوح من مثل هذه الأساطير والخرافات عن خلق الكون والعالم الطبيعي، نعم هناك معجزات وعجائب قام بها الخالق ليزيد إيمان المؤمنين ويفحم المتعنتين، ولكن سوىٰ ذلك: فالأوصاف الكونية والطبيعية تبدو حديثة بشكل مذهل، قد يتوقع البعض أن يعكس القرآن أساطير وخرافات ذلك الزمان، وحتىٰ لو استطاع محمد أن ينتقي أفضل ما كان موجوداً من أفكار في ذلك العصر ويترك الأساطير، فهذا لا يفسر الدقة المذهلة الموجودة في القرآن، المتوافقة مع العلم الحديث.

وهنا بعض الآيات من القرآن تتعامل مع الكون وخلقه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٠).

هل سمعت من قبل عن نظرية الانفجار الكبير، وكيف أن الكون بدأ كوحدة كثيفة من المادة والطاقة؟ تكلمنا عن هذا في البداية، فهذا

يظهر أن المعلومات المذكورة في القرآن صحيحة عن شيء اكتشفناه فقط قبل ٧٠ عاماً. فكيف بهذا المثال: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٧).

عندما كان أينشتاين يستحضر نظرياته، كان الإجماع بين العلماء علىٰ أن الكون ثابت وكان كذلك منذ الأزل، لكن الاكتشافات الجديدة أوضحت أن الحال ليس كذلك، بل إن المجرات في الواقع تتحرك متباعدة بعضها عن بعض وفق معيار ثابت، وبعبارة أخرىٰ: الكون يتوسع، والأكثر غرابة هو كيف وجد هذا الكلام في كتاب عمره ١٤٠٠ عام؟

العلم صاحبٌ متقلب جدا، فالأشياء التي يُجمع عليها العلماء اليوم تنقلب علىٰ رؤوسهم وتتعارض مع المشاهدات غداً، لذلك ربما هو ليس المقياس الأفضل لنحكم علىٰ كتاب ما بواسطته، ومع ذلك فإن هناك بعض الأشياء التي لوحظت غالباً ودرست كثيراً حتىٰ أصبحت حقائق.

أحد هذه الأشياء هو مراحل التكون الجنيني البشري، ففكرة أننا نمر بمراحل تشكل جنيني هي فكرة جديدة، والعديد من النظريات المنتشرة بكثرة في العصور القديمة وأوائل العصور الحديثة تبدو اليوم سخيفة بعض الشيء. علىٰ سبيل المثال، إحدىٰ النظريات التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر هي نظرية التشكل المسبق، وهي أن الحيوانات تكون علىٰ شكلها البالغ منذ وجودها في النطفة، حتىٰ أنه كان

هناك ادعاءات لبعض المشاهدات المتعلقة بهذه النظرية عبر المجاهر البدائية الموجودة في ذلك الوقت، مصداقا لليس الخبر كالمعاينة!

ظن أرسطو أن دم الحيض يتجلط بمساعدة النطفة ليشكل الجنين، ولم يكن حتىٰ أواخر القرن التاسع عشر ما نعرفه الآن منصوصا عليه بشكل واضح، ولكن قبل ١٤٠٠ عام يقول نص القرآن: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ١٢-١٤)، ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (الحج: ٥).

كيث مور، بروفيسور ورئيس قسم التشريح في جامعة تورنتو، كندا، ومؤلف كتاب «نمو الإنسان: بالنسبة إلىٰ علم الأجنة السريري «The Developing Human: Clinically Oriented Emryology»، ويعتبر أحد أبرز علماء الأجنة في العالم، قال بخصوص آيات الجنين في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة: «حتىٰ القرن التاسع عشر لم يكن يُعرف شيءٌ عن تصنيف مراحل التشكل الجنيني، وقد تم تطوير نظام مراحل تشكل الجنين البشري في حوالي أواخر القرن التاسع عشر بناءً علىٰ الأبجدية، وخلال القرن العشرين استخدمت الأرقام لوصف ٢٣ مرحلة من التشكل الجنيني، ونظام الترقيم هذا ليس سهل المتابعة، وقد يكون النظام المبني علىٰ التغيرات المورفولوجية

(التشكل) أفضل منه، وفي السنوات الأخيرة كشفت دراسة القرآن نظاماً آخراً لتصنيف مراحل التشكل الجنيني مبنية علىٰ مبادئ سهلة الفهم للأحداث والتغيرات الشكلية. وهو يستخدم مصطلحات أنزلها الله لنبيه محمد عبر الملك جبريل، وسجلت في القرآن...إنه من الواضح بالنسبة لي أن هذه التصريحات يجب أن تكون أنزلت علىٰ محمد من الله؛ لأن كل هذه المعرفة لم تكن مكتشفة إلا بعد قرون عديدة، وهذا يثبت لي أن محمداً لا بد أن يكون رسولاً لله».

مارشال جونسون بروفيسور ورئيس قسم التشريح، مدير معهد دانيال باف، جامعة توماس جيفيرسون، في فيلاديلفيا، أميركا يقول: «كعالم يمكنني فقط أن أتعامل مع ما يمكنني رؤيته تحديداً، وأستطيع أن أفهم علم الأجنة وعلم الأحياء التطوري، وأستطيع أن أفهم الكلمات التي ترجمت لي من القرآن، ولو أني نقلت نفسي إلىٰ تلك الفترة بما أعلم اليوم لوصف الأشياء، لما استطعت أن أصف الأشياء التي وصفها القرآن، ولا أرىٰ أي دليل لرفض مفهوم أن هذا الشخص محمداً كان عليه أن يأخذ هذه المعلومات من مكان ما، لذا لا أرىٰ ما يعارض مفهوم أن تدخلاً إلهيّاً كان له دور في ما استطاع أن يقوله».

جملة أخرىٰ لافتة للانتباه في القرآن تتعلق بوصف الجبال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (النبأ: ٦-٧).

نعلم اليوم أن الجبال لها جذور عميقة تحت سطح الأرض، وأن هذه الجذور قد تصل إلىٰ أعماق أكبر بعدة مرات من ارتفاعها فوق

الأرض، لذا فإن أنسب كلمة لوصف الجبال بناءً علىٰ هذه المعلومات هي كلمة «أوتاد»، بما أن أغلب حجم الوتد الموضوع بشكل صحيح يكون مدفونـاً تحت الأرض. هذه النظرية عن الجبال وجذورها العميقة لم تقدم إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر. والجبال أيضاً تلعب دوراً مهما في تثبيت قشرة الأرض، فهي تمنع اهتزاز الأرض.

﴿ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (النحل: ١٥).

وبالمثل فإن النظرية الحديثة للصفائح التكتونية تقول إن الجبال تعمل كمثبتات للأرض، وهذه المعرفة عن دور الجبال كمثبتات للأرض لم يتم فهمها في إطار الصفائح التكتونية إلا بعد عام ١٩٦٠!

يذكر القرآن العديد من الأشياء عن العالم الطبيعي، ويدعونا للتفكر العميق والتدبر، وأن أصحاب الفهم سيدركون أن هذه كلها إشارات تشير إلىٰ قوة وحكمة الخالق، وأن كل هذا ليس للمتعة أو من أجل لا شيء، بل لغرض عميق نبيل.

القرآن ليس كتاباً علميّاً، بل كتاب إشارات وآيات، فمن السهل أن نفهم كيف أن الخالق سيعلم هذه الأشياء عن أصل الكون والعالم، وتفاصيل التطور الجنيني، وأن للجبال جذوراً، ولكن ليس من السهل أن نفهم كيف لمحمد أن يذكر هذه الأشياء في القرآن إن لم يكن نبيّاً، ويبدو أن قبول هذا الأمر هو ما يجب أن يفعله أي شخص صادق عقلاني.

* * *

الفصل السابع:

تعاليم الكتاب

الفصل السابع
تعاليم الكتاب

ما هي إذن التعاليم الأساسية للقرآن؟

أول ما يجب قبوله هو أن هناك إلهاً واحداً، وأنه لا يشبه شيئاً، ولا شيء مثله، وأن الله واحد لا شريك له، ولا منافس، وعلينا أن نصلي ونتعبد للخالق فقط.

أما كيفية الصلاة وعبادة الخالق والاهتداء بهديه، فهنا يأتي دور النبي محمد، والقرآن يخبرنا أن كل أنبياء الله ورسله للبشر كانوا بشراً، هذا لأنهم ليسوا فقط حاملين للرسالة، بل مثال عملي لتطبيق هذه الرسالة، وهذا منطقي، لأنه إذا كان واحد من البشر يستطيع فعل هذا، فنظريّاً على الأقل كلنا نستطيع أيضا، ولو كان رسول الله ملَكاً من السماء، لكنا تخلقنا الأعذار عن عدم قدرتنا أن نكون كالملائكة؛ لأن الأمر سهل عليهم أن يكونوا ملائكيين!

يخبرنا القرآن أن الحياة اختبار، لهذا يوجد فرح وحزن، صحة ومرض، غنىً وفقر، خير وشر، ليل ونهار، نور وظلام، ونعرف الشيء من خلال نقيضه، فكيف لنا أن نقدّر الخير إن لم يكن هناك شر، وكيف

أننا في كثير من الأحيان لا نقدر الصحة إلا عند المرض؟ فالاختبار هو أن ندرك طبيعة أنفسنا، هل سنقبل الحقيقة أم سنتبع شهواتنا؟ هل سنطيع الخالق أم سنعصيه؟ فقد أعطانا الله الهداية والاختيار، وعلينا استخدام عقولنا وذكائنا لنفهم ونتبع هذا الهدي، إن أخطأنا وهذا محتم فنحن بشر، فعلينا أن نعلم أننا طالما التزمنا بسؤال الله الهداية وطلب المغفرة وبذل مافي استطاعتنا لتغيير أنفسنا للأفضل، فإن الله سيغفر لنا.

إن فهمنا هذا لمحدوديتنا في الواقع وعظمة الله هو جوهر ما يدعو له الإسلام، ولهذا يجب على الإنسان أن يستسلم ويخضع لله وهذا ما يعنيه الإسلام حقاً.

سبب وجودنا والهدف الأساسي لعقولنا المعقدة، ونعمة العقل هي لنفهم ونحاول فعل كل شيء بطريقة ترضي الخالق، ونعلم كيف نفعل هذا بهداية الخالق التي أعطانا إياها، وهذا من أجل أن يساعدنا لنعيش بالشكل الأكثر فاعلية وإنتاجاً، ونبقى ثابتين على هذا الطريق، وقد جعل الخالق عنصراً أساسيّاً في طريقة الحياة هذه هو القيام بأعمال تعبدية منتظمة في حياتنا، ليس لأن الله يحتاج هذه العبادة، أبداً! بل الله لا حاجة له لأحد، فهو غني عن العالمين مكتفٍ بذاته، ولكننا خُلقنا بهذه الحاجة، مثلما تحتاج أجسادنا إلى الطعام، فعقولنا وأرواحنا تحيا بذكر الله وعبادته.

لهذا السبب فإن أهم عمل على المسلم (من يتبع دين الإسلام) القيام به هو أن يصلي لله بطريقة محددة في أوقات محددة خلال الليل

والنهار، هناك خمس من هذه الصلوات اليومية، وإقامة هذه الصلاة بصدق وإخلاص وفهم هو مفتاح لتغيير أنفسنا، فهي تجربة مغيرة للحياة عندما تتم علىٰ أحسن وجه..

عنصر أساسي آخر مهم هو إعطاء الزكاة، لمساعدة المحتاجين الأقل حظًا، فمن أهم ما يرضي الله أن نحسن للمحتاج ونساعد الآخرين.

وبالطبع عيش هذه الحياة يتطلب الالتزام، ضبط النفس والصبر، ولهذا كان الصيام دائما جزءاً من الحياة الدينية، وهذا هو الحال في الإسلام كذلك. هناك شهر في كل عام يدعىٰ رمضان يجب علىٰ المسلم فيه أن يترك الطعام والشراب والجنس من الفجر إلىٰ الغروب، من المهم أيضاً فيه محاولة الابتعاد عن السيئ من الكلام أو الأفعال؛ لأن هذا هو جوهر ما يدل عليه الصيام.

قول الحقيقة، وعدم الكذب، والإيفاء بالعهود، ومراعاة الأمانة، والعدل حتىٰ لو علىٰ النفس أو الأهل؛ هي صفات جوهرية للمؤمن الحقيقي.

احترام الوالدين واللطف معهما، خاصة في سن الشيخوخة، والإحسان إلىٰ الجار، والحث علىٰ الخير والنهي عن الشر، هي فضائل أساسية.

فهذه تكوّن أساسيات الإسلام، وكيف يكون المرء مسلماً.

الحياة قصيرة، وقريباً جداً كلنا سنموت، لكن الموت ليس هو النهاية.

يعلمنا القرآن إنه سيكون يوم للحكم، فيه يجمعنا الله تعالىٰ كلنا، وسنحاسب علىٰ كل شيء فعلناه، حتىٰ وزن الذرة من الخير أو الشر سنعلم به.

وبالنسبة لأولئك الذين رفضوا الحقيقة واختاروا المعصية فسينتظرهم عذاب أليم، فهو خيار اتخذوه، فالحقيقة كانت واضحة لهم، ولكنهم فضلوا تجاهلها، ولهذا فإنه ينتظرهم مصير رهيب، نار جهنم، والتي سيُحرق الناس ويعذبون بها من غير أن يموتوا، بل سيعذبون إلىٰ الأبد.

أما أولئك الذين كانوا مع الخير وعاشوا حياة طاعة لله سيعيشون إلىٰ الأبد في نعيم الجنة. لن يكون فيها كراهية أو غضب أو حسد، فقط سلام وسعادة، جسدية وروحية، يا لها من منزلة جميلة!

وهذا حقا ما يدعونا الخالق إليه: جنته. اتباع الإسلام لا يعني أنه لن يكون هناك أي اختبارات وابتلاءات أخرىٰ في الحياة، بل إن الخالق في الواقع يخبرنا إننا لن نترك أن نقول إننا آمنا من غير اختبار. اتباع هدىٰ الله يعلمنا كيف نتعامل مع هذه الاختبارات، وبها يتحول العسر إلىٰ يسر، والارتباك إلىٰ فهم، والألم إلىٰ رضا، والحزن إلىٰ سعادة.

معرفة هذا واتباعه يجلب السلام الحقيقي إلىٰ القلوب، وفي هذا المنظور فالإسلام حقّـًا يجلب السلام، سلام لا يعني فقط غياب الحرب، بل سلام أكثر عمقـًا وصفاء.

* * *

نهاية الرحلة...

ها نحن..

اقتربنا من نهاية رحلتنا والهدف أصبح في مرمىٰ البصر، بقي هناك شيء واحد فقط.

هو الوقت الذي يحين فيه فتح ذلك الباب والسماح للرسالة الحقيقية من الخالق أن تهدي حياتنا.

نعم قد يبدو ذلك غريبـاً بعض الشيء، وبعض الأشياء التي ستحتاج لفعلها ربما ليست أشياء اعتدت فعلها، ربما تتساءل ما قد يقول أهلك وأصدقاؤك! يمكنك دائماً أن تجرب ألا تقول شيئاً سوىٰ: «اقرأ هذا»، وتمرر هذا الكتاب!

كما قلت سابقاً، الجزء الصعب ليس في فهم منطقية هذا الأمر، الجزء الصعب حقّاً هو في تطبيقه! ولكن في الحقيقة، وبصراحة: حتىٰ ذلك ليس صعباً جدّاً!

عليك فقط أن تبدأ بنية جازمة أنك تفعل هذا؛ لأنه ما يريده الخالق الواحد الذي خلقك! ثم لـمَ لا تجرب أن تطلب المساعدة، نعم فقط جرب واطلب من خالق كل شيء، واسأله وحده، ليس

بواسطة أحد أو أي شيء، بشكل مباشر مع الخالق، بصدق وإخلاص نابع من قلبك ليهديك ويدلك لفعل الصواب.

حسنا كيف تشعر؟

إذا كنت تشعر بذلك الشعور الذي أتوقعك أن تشعر به، فما عليك إلا أن تقوم بالخطوات التالية:

قل ببساطة: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» وهذا ما يجعلك مسلماً.

ثم عليك أن تتعلم الصلاة التي يصليها المسلم خمس مرات في اليوم.

ولتتعلم كيف تقوم بهذا، أو لتحصل على أي نوع من المساعدة، اتصل بـ: www.muslimnow.org «Muslim Now».

وهذا كل ما عليك أن تهتم به الآن.

والسلام عليكم ورحمة الله.

FURTHER READING

Abdel Haleem, The Qur'an, OUP Oxford, 2008.
Abdul Wahid Hamid, Islam the Natural Way, MELS, 2004.
http://www.hamzatzortzis.com/research/embryology-in-the-quran/
retrieved 17 June 2012, 18:36.



Suite 201, North Circular Road, London NW10 7PN

T: +44(0)20 8963 0336
F: +44(0)20 8965 5775
E: hello@onereason.info

www.onereason.info

❊ ❊ ❊

الرجل ذو السروال الأحمر

" مَن هو الرجل ذو السروال الأحمر؟ ولماذا يلبس الأحمر وليس لونًا آخرَ؟
هل حقا حصل على سرواله الأحمر القصير؟ وماذا يريد بأي حال؟
هذه الأسئلة لن يتم التعامل معها في هذا الكتاب! لكن هذا الكتاب سيسألك التفكير في كيف يمكن التعامل مع هذا الرجل؟ سيأخذك في رحلة تواجه فيها بعض الخلاصات والنتائج الصعبة، فإذا كنت تؤمن بالأشياء غير القابلة للتصديق من غير دليل، فضع هذا الكتاب جانبًا الآن! وإن كنت تظنّ أنك مُفكر، ففكر مرة ثانية! لأنّ هذا الرجل ذا السروال الأحمر سيتأكد من أنّ حياتَك لن تكون كالسابق أبدًا مرة أخرى..."

عبد الرحيم جرين



E-Mail:dalailcentre@gmail.com جوال : ٠٥٣٩١٥٠٣٤٠
Dalailcentre/



